

حكاية لطيفة^(١)

روى الناصر بن فتاح قال: عشقت أهيف الجوانح أصيد للقلوب من الجوارح، فأحرمني عشقه لذيد المنام وهنيء الشراب والطعام، وفارقت بسببه الأهل والأوطان، وصرت أتنقل في البلدان وأتوسل بالأحباء وأستوصف الأطباء حتى جئت إلى طبيب حاذق يبد أنه عن الدين مارق، فأخبرته بدائي وسألته عن دوائي، فأعيتته الحيلة ولم يجد إلى العلاج وسيلة وقال: ليس لهذا الداء دواء إلا اللقاء، ولا تفيد فيه الفواتح والرقاء، ولا الحكماء ولا الحدقاء.

ثم إنني خرجت من عنده وراحتي صفر من الراحة، وعدت إلى ما كتبت عليه من السياحة، ولم أزل أسأل العلماء وأستوصف الحكماء، ثم إنني سمعت بمليح قد أفرغ في قالب الكمال وأحجل البدر والهلال له جيد كجيد الظبا، ولحظ حكى فعله الظبا، فخامر حبه لبي ولم يخل الأول عن سويداء قلبي^(٢) وأكسبني عشقه هموما وأحزانا (والأذن تعشق قبل العين أحيانا) فتغير لذلك حالي وزاد هيامي وبلبالي حيث بليت بليتين ولم أعلم أصبو لأي الاثنين، ولم يجعل الله لرجل في جوفه من قلبين وسمعت بأن في بلدة ملتان^(٣) حكيما عالما يعلم الأبدان فتوجهت إليه فوجدته يعالج المرضى من غير انتظار للجزاء عارفا

(١) حديقة الأفراح لإزاحة الأفراح ٥٠٧.

(٢) سويداء القلب: يضرب مثلا لتفضيل بعض الشيء على كله، فيقال: سويداء القلب، وإنسان العين، وبيت القصيد، وواسطة القلادة، ويضرب أيضا مثلا لمن يعز ويلطف موقعه، فيقال: هو منى في سواد عيني وسويداء قلبي، وربما قيل: هو في سوادى عيني وقلبي. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص ٣٤٠.

(٣) ملتان: بالضم وسكون اللام وتاء مثناة من فوقها وآخره نون وأكثر ما يكتب مولتان بالواو: هي مدينة من نواحي الهند قرب غزنة أهلها مسلمون. معجم البلدان ١٥٥/٤.

بالأدوية والأجزاء فأخبرته بقصتي وما صار لي وأصل علتني فقال: إن العشق يقطع الأوصال ولا يفيد فيه إلا الوصال.

فقلت له: إن أحد المحبوبين بأزمير والآخر بكشمير، وبينهما بون بعيد، وبعدي عنهما أزيد وأبعد ومن كل يزيد فأنا ها هنا بين الاثنين حزين القلب قريح العينين.

فقال: دع الثاني واجتهد في تحصيل الأول، فخير الناس من مال إلى القديم وعليه عول أما سمعت أيها اللبيب ما قاله^(١) حبيب^(٢) [الكامل]

نقل فؤادك ما استعظت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
فقلت له: إن هذا مقام الاختيار وليس لي فيه اختيار.

ثم دخل عليه رجل قيل: إنه ممن جمع علمي المعقول والمنقول، واستنيط الفروع من الأصول، فأخبره الحكيم بدائي وسأله منه الفكر في دوائي فقال: اسأل عن هواهما تخل من بلائهما، وإذا لم تقدر على السلوان اشتغل بمطالعة السلوات، وإلا فاشتغل بمن علق أول بضميرك وتصدق بمن سمعت على غيرك، واجزم وقل: توكلت على ربي. واستحضر بيت المتنبي^(٣): [البسيط]

خذ ما رأيت ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
فوحق من أرجو به بلوغ الأمانني إنني لما سمعت البيت كأنني لم أسمع
بالثاني، ثم إن الحكيم أخذ بيده كتاب البيان والتبيين فمرت به أبيات فيها

(١) ديوان أبي تمام ٢٦٧/٣.

(٢) هو: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، الشاعر المعروف صاحب الحماسة، أصله من قرية جاسم بالقرب من طبرية، وكان بدمشق يعمل عند حائك ثم سار إلى مصر، وقيل: هو شامي الأصل. توفي سنة ٢٢٨ هـ. ترجمته. في طيقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨٣، والأغاني ١٦/٣٨٣، وتاريخ بغداد ٢٤٨/٨.

(٣) ديوان المتنبي ص ٢٦٠.

حسن التضمين .

فقال الرجل : إن التضمين وإن كان بالقلوب أملك فهو قريب التناول سهل المسلك .

فقال له الحكيم : فذاك سمعي وناظري ضمن لي مثلا يتضمن ما في خاطري .

فقلت له : أيها الحكيم ، وذا العقل والقلب السليم مره يتضمن البيت المذكور ليطفئ به حر غليل الصدور .

فقال له : ضمن بيت المتنبي السابق واذكر ما جرى له من محبوبيه الأول واللاحق ، فقام بالنبي ﷺ متوسلا وأنشد على البديهة مرتجلا فقال وأبدع في المقال عند هذا المجال : [البسيط]

رأيت ظبيا وظبيا قد سمعت به	كلاهما كقضيب البان والأسل
الشمس تعجز عن إدراك حسنهما	والبدر قد أدركته حمرة الخجل
حاز اللطافة من فرع إلى قدم	هذا وذاك كهذا يا أخا النبل
فصرت في حيرة مما أكابده	أصبو لأيهما يا قلة الخيل
فأنشدتني لسان الحال قائلة	بيتا بديعا له التقديم في المثل
خذ ما رأيت ودع شيئا سمعت به	في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

ثم إنه قام قاصدا على محله فقلت : إن حبك بلغ مني بلوغ الهدى إلى محله ، وأريد أن أكون لك من المصاحبين والمسامرين حتى يأتي إبان سفر المسافرين .

فقال : ائت إلى محلة اليهود واسأل عن دار شيخ الهنود ، فمن رأته سيوصلك إليها أو يدلك عليها .

فذهبت فرأيت رجالهم ثم نساءهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فدلوني

على دار ذات سُدَّات منيعة وشرفات رفيعة، فلما قرعت الباب أجباني
الحجاب: إن صاحب المكان اتهم بتهمة وحبس في بيت الأحران، فوقفت
بالباب مفكرا متأسفا ومتحيرا، ثم إنني أردت السؤال عن اسمه لما شاهدت من
فضله ورسمه، فرأيت مكتوبا على الجدار أبياتا بقلم الريحان والغبار: [الطويل]

نزلت بهذا المنزل الرحب برهة من الدهر والأقدار تسعد بالمني
وأعلم قطعا أنني سأنوته وأي فتى باق على الدهر في الدنى
فقل أيها الرائي لما كتبت يدي ألا رحم الرحمن من كان ههنا

ثم كتبت تحته قال ذلك بغمه ورقمه بقلمه خدام الإمام المهدي أبو
المظفر الهندي فترحمت عليه وعدت إلى ما كنت أنا قاصدا إليه فسبحان الباقي
بعد فناء العباد وهو سبحانه يعلم كل قصد ومراد.

* * *

حكاية لطيفة

ونادرة ظريفة^(١)

قال الأصمعي : دخلت البادية ومعى كيس فيه دراهم ودنانير فأودعته عند امرأة ومضيت لأسعى في حاجة لي ، فلما جئت إليها وطلبت الكيس منها أنكرت ، فأتيت بها إلى شيخ من الأعراب ، فاستمرت على إنكارها .

فقال الشيخ الأعرابي : قد علمت أنه ليس عليها إلا اليمين .

فقلت : كأنك لم تسمع قوله تعالى^(٢) : [الوافر]

فلا تقبل لسارقة يميناً وإن حلفت برب العالمينا .
قال الأعرابي : صدقت . ثم تهددها ، فأقرت ورددت الكيس إلي .

ثم التفت إلى الشيخ وقال : في أي سورة هذه الآية الشريفة ؟ أفدنا مأجورا .
فقلت له سورة : [الوافر]

ألا جودي بوصلك واصحبينا ولا تبقي وصال الناقصينا
فقال : سبحان الله كنت أظن أنها في سورة : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ .

* * *

(١) الكشكول ١/٢٨٦ ، وحديقة الأفراح ٣٩٨ .

(٢) الكشكول ١/٢٨٦ .

حكاية لطيفة

حكى أن ابن الراوندي^(١) - عفا الله عنه - أصابه مغص في ليلة كاملة، فبات يسأل الله تعالى أن يفرج عنه بفسوة تخرج منه، فلم يتيسر له ذلك، فخرج في وقت الصباح وهو يتوكأ على عصا، فسمع رجلاً يقول: اللهم ارزقني ألف دينار.

فقال له: يا سقيع الذقن أنا طول الليل أطلب منه فسوة فلم يعطها لي، أيعطيك ألف دينار ثم تركه.

(١) الراوندي (٢٩٨هـ/٩١٠م) أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسين الراوندي، أو ابن الراوندي: فيلسوف مجاهر بالإلحاد. من سكان بغداد. نسبته إلى (راوند) من قرى أصبهان. قال ابن خلكان: له مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام، وقد انفرد بمذاهب تقلوها عنه في كتبهم. وقال ابن كثير: أحد مشاهير الزنادقة، طلبه السلطان فهرب، ولجأ إلى ابن لاوي اليهودي (بالأهواز) وصنف له في مدة مقامه عنده كتابه الذي سماه (الدامغ للقرآن). وقال ابن حجر العسقلاني: ابن الراوندي، الزنديق الشهير، كان أولاً من متكلمي المعتزلة ثم تزديق واشتهر بالإلحاد، ويقال: كان غاية في الذكاء. وقال ابن الجوزي: أبو الحسين الراوندي، الملحد الزنديق، وإنما ذكرته ليعرف قدر كفره فانه معتمد الملاحدة والزنادقة. ثم قال: وكنت أسمع عنه بالعظائم، حتى رأيت ما لم يخطر على قلب أن يقوله عاقل. وذكر أنه وقعت له كتبه. ونقل عن الجبائي أن ابن الريوندي (كما يسميه) وضع كتاباً في قدم العالم ونفى الصانع وتصحيح مذهب الدهر والرد على مذهب أهل التوحيد، وكتاباً في الطعن على محمد ﷺ. وقال أبو العلاء المعري (في رسالة الغفران): سمعت من يخبر أن لابن الراوندي معاشر يخترصون له فضائل يشهد الخالق وأهل المعقول أن كذبها غير مصقول، وهو في هذا أحد الكفرة، لا يحسب من الكرام البررة) وعرفه ابن تغري بردي بالماجن المنسوب إلى الهزل والزندقة.

وتناقل مترجموه أن له نحو ١١٤ كتاباً، منها (فضيحة المعتزلة) و(التاج) و(الزمر) و(نعت الحكمة) و(قضييب الذهب) وأن كتبه التي ألفها في الطعن على الشريعة اثنا عشر كتاباً. ولجماعة من العلماء ردود عليه، نشر منها كتاب (الانتصار) لابن الخياط. وفي المؤرخين من =

[حكاية أخرى]^(١)

وحكي أن أعرابيا شرط على حين غفلة، فلامه الناس على ذلك فأنشد

يقول: [الطويل]

ضرطت فما أحدثت في الناس بدعة ولم يأت استى منكرا فأتوب
فإن كانت الأستاه تضرط كلها فليس علي في الضراط رقيب
فضحك الحاضرون لكلامه ولم يلمه أحد منهم.

* * *

=يجزم بأنه عاش ٣٦ سنة (مع ما انتهى إليه من المخازي) كما في المنتظم لابن الجوزي . ومن فرق المعتزلة (الراوندية) نسبة إليه . مات برحمة مالك ابن طوق (بين الرقة وبغداد وقيل : صلبه أحد السلاطين ببغداد .

ترجمته في وفيات الأعيان ٢٧/١ وفيه وفاته سنة ٢٤٥هـ) وتاريخ ابن الوردي ٢٤٨/١ وفيه كما في كتاب ابن الشحنة ، وفاته سنة ٢٩٣ هـ . ومروج الذهب للمسعودي ٢٣٧/٧ طبعة باريس ، وفيه وفاته سنة ٢٤٥ هـ . والبداية والنهاية ١١٢/١١ وفيه : (وهم ابن خلكان وهما فاحشا في تأريخ وفاته سنة ٢٤٥ والصحيح أنه توفي سنة ٢٩٨ كما أرخه ابن الجوزي) والملل والنحل للشهرستاني ٨١/١ و ٩٦ طبعة محمود توفيق . ولسان الميزان ٣٢٣/١ وشرح نهج البلاغة ٤١/٣ ومعاهد التنصيص ١٥٥/١ والمنتظم ٩٩/٦ وشذرات الذهب ٢ : ٢٣٥ ورسالة الغفران طبعة دار المعارف ٤١٠ - ٤١٢ ثم ٤٤٢ والنجوم الزاهرة ١٧٥/٣ وفيه : صلب وهو ابن ٨٦ سنة . وجاء ذكره في طبقات الأطباء ٢١٢/١ ثم ٩٧/٢ و ١٣٩ وكشف الظنون ١٢٧٤ والإمتاع والمؤانسة ٧٨/٢ وفي خطط المقرئ ٣٥٣/٢ .

(١) محاضرات الأدباء ٣١٩/٢ .

ومن الحكايات اللطيفة أيضا

أن بعض الملوك أحضر خياطا ليفضل له قركا - وهو المسمى الآن بالكرك - فأخذ يفصل والأمير ينظر إليه فما أمكنه، أن يسرق شيئا فصرط الخياط، فضحك الملك من ذلك حتى استلقى على قفاه، فعند ذلك سرق الخياط من قماش القرك ما أراد فجلس الملك وقال: يا خياط صرط صرطة أخرى فقال: لا يا أمير المؤمنين لئلا يضيق القرك.

[حكاية أخرى]

وحكي أن بعض الشعراء مدح بعض الملوك بقصيدة فأمر له بيرذعة حمار
ولجام ، فأخذهما على كتفيه وخرج بهما إلى السوق ، فمر به بعض الناس فقال
له ما هذا ؟

فقال : إنني امتدحت مولانا السلطان بقصيدة من أحسن القصائد ، فخلع
علي خلعة من أحسن ملابسه .

فبلغ الملك ذلك فضحك وأرسل له خلعة وأجازه بجائزة عظيمة .

* * *

[حكاية أخرى]

وحكي أن الملك أنوشروان جلس يوماً للمظالم فدخل عليه رجل قصير وقال له : أنا مظلوم .

فقال الملك : القصير لا يظلمه أحد .

فقال : أيها الملك ، من ظلمني أقصر مني .

فضحك الملك منه وأمر بإنصافه^(١) .

* * *

(١) الكشكول ١/١٢٦ .

[حكاية اخرى]^(١)

وحكي أن عبدا أسود ادعى النبوة في مصر، فأتى المأمون، وقال: أنا موسى .

فقال المأمون: كان لموسى معجزة من اليد البيضاء، والعصا وتقلبها!

فقال: نعم أتى موسى بالمعجزة لقول فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(٢) .
ولو قلت أنت مثل ذلك لأتيتك بمعجزة مثله .

* * *

(١) محاضرات الأدباء ٩/٢، وجمع الجواهر ٦٠، وحديقة الأفراح لإزاحة الأتراح ٣٥٩.

(٢) سورة النازعات: ، الآية ٢٤.

[حكاية أخرى]

ومن الحكايات اللطيفة أن رجلا سكر مرة فأخذوه إلى سلطان عصره ، فلما

وقف بين يديه قال له : ما اسمك ؟

قال : اسمي السكران .

فقال : وأبوك ؟

قال : المكرم خديجة .

فضحك منه وصرفه ولم يحده .

* * *

[حكاية أخرى]^(١)

وحكي أن رجلا قال لآخر: لا تهرب من الحرب أثلا يغضب عليك
الأمير.

فقال: غضبه علي وأنا حي، أحب إلي من رضاه وأنا ميت.

* * *

(١) العقد الفريد ١/١٧٥، وغرر الخصاص ٢/١٢٤.

[حكاية أخرى]

وحكي أن بعض الملوك اشترى أرضا ، فدعا بعض المهندسين الرياضية لأجل أن ينظم له بيتا ، فلما حضر الرياضي جعل يقول : هنا يكون كذا ، وهنا يكون محل آخر كذا ، ففرض فقال : وهنا يكون محل كنيف أيضا . فضحك منه الملك .

* * *

[حكاية أخرى]

وحكي أن بعض الرياضيين - أعني : بعض من كان علما بعلم الرياضة - دعا بهذا الدعاء فقال : اللهم يا من يعلم قطر الدائرة ونهاية العدد المبهم والجذر الأصم ، اقبضني إليك على زاوية قائمة ، واحشرنني إلى خط مستقيم لا منكسر .

* * *

حكاية مضحكة

قال أصحاب النوادر اللطيفة : مات مأبون^(١) يقال : له قرنفل . فراه شخص
في المنام فقال له : أيش حالك يا قرنفل ؟
قال : لا تسالني عن شيء .
قال : إلى أين صرت يا قرنفل ؟
قال : إلى جهنم .
قال : ويحك ومن يلوط بك في جهنم ؟
قال : يزيد بن معاوية^(٢) وأنا وإياه أصحاب .
ذكر في القاموس^(٣) في باب الثاء وفي حرف الدال [الدعبوث]^(٤) بالضم هو
المأبون .

(١) أثبت الرجل أبته وأبته إذا زمته بقبیح وقدقته بسوء فهو مأبون . اللسان (أ ب ن) .
(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي (٢٥ - ٦٤ هـ) : ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد بالمطرون ، ونشأ بدمشق ، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠ هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين بن علي ، فانصرف الأول إلى مكة والثاني إلى الكوفة ، وخلع أهل المدينة طاعته سنة ٦٣ هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري ، وأمره أن يستبجها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد ، ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة ، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين ، وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم ، ويقال : إن يزيد أول من خدم الكعبة وكساها الديباج الخسرواني . ومدته في الخلافة ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما ، توفي بحوارين من أرض حمص . انظر : الأعلام ١٨٩/٨ ، الطبري : حوادث سنة ٦٤ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٣٠٠ ومنهاج السنة ٢ : ٢٣٧ - ٢٥٤ وابن الأثير ٤ : ٤٩ ومختصر تاريخ العرب ٧١ - ٧٦ والبدء والتاريخ ٦ : ٦ - ١٦ واليعقوبي ٢ : ٢١٥ وجمهرة الأنساب ١٠٣ .

(٣) القاموس المحيط ١/١٥٨ .

(٤) في الأصل : «الدعبوث» ، والمثبت من القاموس .

حكى الراغب في تذكرته قيل : أول من ظهرت فيه الأبهة العزيز صاحب يوسف عليه السلام^(١) .

وكان أبو جهل^(٢) مأبونا، وإذا أحرزته الداء ألقم دبره حجرا^(٣) .

وكان جالينوس^(٤) مأبونا ففعل به غلام خلف حائط، فطارت دجاجة،

(١) محاضرات الأدباء ٣٢/٢ .

(٢) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي (ت ٥٢هـ) : أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، قال صاحب عيون الأخبار: سوت قريش أبا جهل ولم يطر شاربه فأدخلته دار الندوة مع الكهول . أدرك الإسلام، وكان يقال له أبو الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل، سأله الأحنس بن شريق الثقفي، وكانا قد استمعا شيئا من القرآن : ما رأيك يا أبا الحكم في ما سمعت من محمد؟ فقال : ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تخاذلنا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى نترك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه! واستمر على عناده، يثير الناس على محمد رسول الله ﷺ وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، فكان من قتلاها . انظر: الأعلام ٨٧/٥، ابن الأثير ١: ٢٣ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٨ و ٤٠ و ٤٦ و ٤٧ و عيون الأخبار ١: ٢٣٠ والسيرة الحلبية ٢: ٣٣ .

(٣) محاضرات الأدباء ٣٢/٢ .

(٤) جالينوس الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونانيين إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته ومؤلف الكتب الجلية في صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم البرهان وقد ضم جالينوس أسماء تأليفه فهرستا يشتمل على عدة أوراق وذكر مرتبة قراءتها ونبه على طريق تعليمها وهي تزيد على مائة تأليف . وقال أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي كان جالينوس بعد المسيح بنحو مائتي سنة وبعد بقراط بنحو ستمائة سنة وبعد الإسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف ولا أعلم بعد أرسطوطاليس أعلم بالطبيعي من هذين الفاضلين أعني بقراط وجالينوس . وقال ابن جلجل الأندلسي بلد جالينوس من بلاد آسيا شرقي قسطنطينية وكانّت مدينة جالينوس اسمها فرغميس ويقال فرغمين وكانّت موضع سجن الملوك وهنالك كانوا يسجنون من غضبوا عليه قال وجالينوس هذا كان في دولة ثيون قيصر وهو =

ففرغ الغلام وقام عنه ، فقال جالينوس : دعني والدجاج ، فما زال يصفه

=السادس من القياصرة الذين ملكوا رومية وطاف جالينوس البلاد وجالها وتنقل إلى مدينة رومية مرتين وسكنها وغزا مع ملكها لتدبير الجرحي وبرع في الطب والفلسفة وجميع العلوم الرياضية وهو ابن سبع عشرة سنة وأوفى وهو ابن أربع وعشرين سنة وجدد من علم بقراط وشرح كتبه ما كَانَ قَدْ درس وفاق أهل زمانه وَكَانَتْ لَهُ بِمَدِينَةِ رُومِيَةِ مَجَالِسُ مَقَامِيَةِ خُطِبَ فِيهَا وَأَظْهَرَ مِنْ عِلْمِهِ بِالتَّشْرِيحِ مَا عَرَفَ بِهِ فَضْلُهُ وَبَانَ بِهِ عِلْمُهُ وَكَانَ أَبُوهُ مَاسِحًا لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ أَعْلَمَ مِنْهُ بِعِلْمِ الْمَسَاحَةِ وَكَانَتْ الدِّيَانَةُ النَّصْرَانِيَّةُ قَدْ ظَهَرَتْ فِي أَيَّامِهِ فَقِيلَ لَهُ أَنْ رَجُلًا قَدْ ظَهَرَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ قِيَصِرَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ يَبْرِي الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى فَقَالَ أَهْنَالِكَ بَقِيَّةَ مَنْ صَحَبَهُ فَقِيلَ نَعَمْ فَخَرَجَ مِنْ رُومِيَةِ يَبْرِي بَيْتَ الْمَقْدَسِ فَجَازَ إِلَى صَقَلِيَّةِ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ سُلْطَانِيَّةٌ فَمَاتَ هُنَاكَ وَقَبْرُهُ بِهَا وَعَاشَ ثَمَانِيًا وَثَمَانِينَ سَنَةً وَهُوَ مِفْتَاحُ الطَّبِّ وَبَاسِطُهُ وَشَارِحُهُ بَعْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَهُوَ فِي الطَّبِّ سَنَةَ عَشْرِ دِيُونَانًا كُلِّهَا مَعْلُوقَةٌ بِبَعْضِ شَرْطِ عَلِيِّ طَالِبِ الطَّبِّ حَفْظُهَا وَالْإِحْتِفَالُ بِهَا أَنْ طَلَبَ عِلْمَ الطَّبِّ مِنْ غَيْرِ بَرَهَانَ وَكَانَ جَالِينُوسُ عَالِمًا بِطَرِيقِ الْبَرَهَانِ خَطِيئًا وَهُوَ كِتَابٌ نَاقِضٌ بِهِ الشُّعْرَاءُ وَكِتَابٌ فِي لَحْنِ الْعَامَةِ وَلَمْ يَسْبِقْ أَحَدٌ إِلَى عِلْمِ التَّشْرِيحِ وَأَلَّفَ فِيهِ سَبْعَ عَشْرَةَ مَقَالَةً وَكَانَ فِي زَمَانِهِ قَوْمٌ يَمْسُونُ إِلَى عِلْمِ أَرِسْطُوطَالِيسِ وَهُمْ الْمَسْمُونُ الْمَعْرُوفُونَ بِأَصْحَابِ الْمِظَلَّةِ وَهُمْ الرُّوحَانِيُونَ وَأَلَّفَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا فِي الْأَسْبَابِ الْمَلَكَةِ إِذْ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الرُّوحَ سَبَبُ مَاسِكِ زِنَاقِضِ اسْتَقْلِييَاسِ فِي الْفِصْدِ وَرَدَّ عَلَيْهِ وَعَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْقَدَمَاءِ وَنَاقِضِ السُّوفِسْطَائِيَّينَ وَأَلَّفَ كِتَابًا عَلَى أَصْحَابِ الْحَيْلِ فِي الطَّبِّ وَقَالَ فِي كِتَابِهِ فِي الْأَمْرَاضِ الْعَسْرَةِ الْبَرَّةِ أَنَّهُ كَانَ مَرًّا بِمَدِينَةِ رُومِيَةِ إِذْ هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ حَلَقَ حَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّفَهَاءِ وَهُوَ يَقُولُ أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ حَلْبٍ لَقِيتُ جَالِينُوسَ وَعِلْمِي عُلُومُهُ أَجْمَعُ هَذَا دَوَاءٌ يَنْفَعُ الدُّودَ فِي الْأَضْرَاسِ وَكَانَ الْحَيْثُ قَدْ أَخَذَ بِنَدَقَةٍ مَعْمُولَةٍ مِنَ اللَّبَانِ وَالْقَطْرَانِ وَكَانَ يَضَعُهَا عَلَى الْجَمْرِ وَيُبَخِّرُ بِهَا فَمِ الَّذِي لَهُ الْأَضْرَاسُ الْمَدُودَةُ بِزَعْمِهِ فَلَا يَجِدُ بَدَأَ مِنْ غَلَقِ عَيْنَيْهِ فَإِذَا أُغْلِقَهَا دَسَ فِي فَمِهِ دَوْدًا قَدْ أَغْدَهُ فِي حَقِّ نَمِّ يَخْرُجُهَا مِنْ فَمِ صَاحِبِ الضَّرْسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ أَلْقَى إِلَيْهِ السَّفَهَاءُ بِمَا مَعَهُمْ نَمِّ تَجَاوَزَ إِلَى أَنْ قَطَعَ الْعُرُوقَ عَلَى غَيْرِ مَفَاصِلٍ قَالَ جَالِينُوسُ فَلَمَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ أَبْرَزْتَ وَجْهِي لِلنَّاسِ وَقَلْتَ لَهُمْ أَنَا جَالِينُوسُ وَهَذَا سَفِيهِ نَمِّ حُدِرْتَ مِنْهُ وَاسْتَعْدَيْتَ عَلَيْهِ السُّلْطَانَ فَمَلِكُهُ فَلِذَلِكَ أَلَّفَ جَالِينُوسُ كِتَابًا فِي أَصْحَابِ الْحَيْلِ وَذَكَرَ فِي كِتَابِ قَاطِجَالِيسِ أَنَّهُ دَبَّرَ فِي الْهَيْكَلِ بِمَدِينَةِ رُومِيَةِ فِي نُوبَةِ الشَّيْخِ الْمَقْدَمِ الَّذِي كَانَ يَدَاوِي الْجَرْحَى وَذَلِكَ الْهَيْكَلُ هُوَ الْبِيْمَارِسْتَانَ فَبَرَى كُلَّ مَنْ دَبَّرَهُ مِنَ الْجَرْحَى قَبْلَ غَيْرِهِمْ وَبَانَ بِذَلِكَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ عِلْمُهُ وَكَانَ لَا يَقْنَعُ مِنْ عِلْمِ الْأَشْيَاءِ بِالتَّقْلِيدِ دُونَ الْمُبَاشَرَةِ وَشَخْصٌ =

=جالينوس إلى قبرص ليرى القلقطار في معدنه وكذلك شخص إلى جزيرة لنوس ليرى الطين المختوم وبار كل ذلك بنفسه وصححه ولم يكن في زمانه أدب منه في قراءة كتاب على ما ذكره من نفسه وكان يأخذ نفسه كل يوم بقراءة جزء من الحكمة ونهض بالعشي للمعلمين يعرض ذلك عليهم حتى كان أصحابه وإخوانه يلقبونه بالبديع القول وقولب الأوابد ولم يأخذ من أحد الملوك شيئاً ولا واكلهم ولا داخلهم كما ذكر في صدر كتابه في حيلة البرء وكان متصفحاً لكلام جميع المؤلفين فلم يسلم أحد من القدماء منه إلا مشدوخاً ولولا هو ما بقي للعلم ولدرس ودثر من العالم جملة ولكنه أقام أوده وشرح غامضه وبسط مستصعبه وكان في زمانه فلاسفة مات ذكرهم عند ذكره فلم يعرفوا لخمول أسماءهم . وقال محمد بن إسحاق النديم في كتابه ظهر جالينوس بعد ستمائة وخمس وستين سنة من وفاة بقراط وانتهت إليه الرئاسة في عصره وهو الثامن من الرؤساء الذين أولهم اسقلياذس مخترع الطب وكان معلم جالينوس أرمينس الرومي وأخذ عن اغلوقن وله إليه مقالات وبينه وبينه مناظرات وقال جالينوس في المقابلة الأولى من كتابه في الأخلاق وذكر الوفاء واستحسنه وأتى فيه بذكر القوم الذين نكبوا بأخذ صاحبهم وابتلوا بالمكاره يلتمس منهم أن ييؤحوا بمساوي أصحابهم وذكر معانيهم فامتنعوا من ذلك وصبروا على غلظ المكاره وإن ذلك كان في سنة أربع عشرة وخمسمائة للإسكندر وهذا أصح ما ذكر من أمر جالينوس ووقته وموضعه من الزمان .

وقال قوم آخرون أن جالينوس كان في زمن ملوك الطوائف في أيام قبان بن شليود بن اصغابا ومنذ وفاة جالينوس إلى عهدنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وستمائة على ما أوجه الحساب الذي ذكره يحيى النحوي وإسحاق بن حنين بعده ألف ومائة وستون سنة تقريباً .

وكان جالينوس وجيهاً عند الملوك كثير الوفادة عليهم كثير التنقل في البلدان طالباً لمصالح الناس وأكثر أسفاره كان إلى مدينة رومية لأم ملكها كان في أيامه مجذوماً وكان يستحضره كثيراً وكان جالينوس كثيراً ما يلتقي مع الإسكندر والأفروديسي وكان الإسكندر يليه برأس البغل وقد تقدم ذكر ذلك قالوا وإنما لقبه بذلك لعظم رأسه وتوفي جالينوس في أيام ملوك الطوائف وبين المسيح وبينه سبع وخمسون سنة المسيح على السلام أقدم منه .

وسأل رجل عبيد الله بن جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع المتطبيب عن أمر جالينوس وزمانه واختلاف الناس فيه وطلب منه تحقيق ذلك فأجابه عبيد الله بن جبرائيل برسالة أظن وطول الكلام فيها بذكر اختلافات المؤرخين في التواريخ وعول فيها في ذكر جالينوس على تاريخ =

=لهارون بن عزون الراهب وعدد الملوك والقيصرة فيه من عهد الإسكندر ومدة مملكة كل واحد منها فمن هذيه الرسالة ثم ملك طريانوس قيصر تسع عشرة سنة وهو الذي ارتجع أنطاكية من الفرس وكتب إلى خليفته على فلسطين يقول له إني كلما قتلت النصراني ازدادوا رغبة في الدين فأمره برفع السيف عنهم وفي السنة العاشرة من مملكته ولد جالينوس ثم ملك بعده ادريانوس إحدى وعشرين سنة ثم وفي أيام هذا الملك ظهر جالينوس وهو الملك الذي استخدمه .. وهذا قول جالينوس ف صدر مقالته الأولى من كتاب عمل التشريح وهذا قوله بعينه قال جالينوس قد كنت وضعت فيما تقدم في علاج التشريح كتاباً في مقدمتي الأولى إلى مدينة رومية وذلك في أول ملك انطونينوس الملك في وقتنا هذا .. ومنها أعني من الرسالة المذكورة لعبد الله بن جبرائيل فمن موجب هذا يكون مولد جالينوس في السنة العاشرة أو نحوها من ملك طريانوس الملك لأنه وعم أن وضعه لكتاب علاج التشريح كان في مقدمته الأولى إلى رومية وذلك في ملك أنطونينوس كما ذكر وأنه له من عمره علي ما ذكرنا ثلاثون سنة مضى منا مدة ملك ادريانوس إحدى وعشرون سنة وكان مدة طريانوس قيصر تسع عشرة سنة وإذا كان هذا هكذا أصح ام مولد جالينوس كان في السنة العاشرة من ملك طريانوس فتكون المدة التي من صعود المسيح عليه السلام إلى السماء وهي من سنة تسع عشرة من ملك طاباريوس قيصر وإلى السنة العاشرة من ملك طريانوس التي ولد فيها جالينوس على موجب التاريخ المذكور ثلاث وسبعين سنة وعاش جالينوس على ما ذكره إسحاق بن حنين في تاريخه ونسبه إلى يحيى النحوي سبعمائة وثمانين سنة منها صبي ومتعلم سبع عشرة سنة وعالم ومعلم سبعون سنة وقال إسحاق أن بين وفاة جالينوس إلى سنة تسعين ومائتين للهجرة ثمانمائة وخمس عشرة سنة ويضاف إليها مدة عمر جالينوس وما كان مضى من تاريخ الملك مائة وستون سنة فيكون جميع ذلك إلى زماننا ما قدمت ذكر هذا أعدل ما يمكن علمه والله أعلم بالحقيقة في ذلك . وما يشهد بأن المسيح عليه السلام كان قبل جالينوس في كتاب تفسيره لكتاب أفلاطون في السياسة المدنية وهذا نص قوله قال جالينوس قد ترى القوم الذين يدعون النصراني إنما أخذوا إيمانهم بالرموز والمهجر وقد يظهر منهم أفعال المتفلسفين أيضاً وذلك عفاقهم عن الجماع وأن منهم قوماً لا رجال فقط لكن نساء أيضاً قد أقاموا أيام حياتهم متمتعين عن الجماع ومنهم قوم قد بلغ من ضبطهم لأنفسهم في التدبير في المطعم والمشرب وشدة حرصهم على العدل أن صاروا غير مقصرين عن الذين يتفلسفون بالحقيقة فهنا القول قد علم أن النصراني لم يكونوا ظاهرين في زمن المسيح بهذه الصورة أعني

للمرضى حتى انقطع أصل الدجاج من المدينة^(١).

الرهينة التي نعتها جالينوس فأشار بها إلى الانقطاع إلى الله تعالى لكن بعد المسيح عليه السلام بمائة سنة انتشرت الرهينة هذا الانتشار حتى زادوا على الفلاسفة في طلب الخير وفعله وأربوا بالعدل والتفضل والعفاف وفازوا بتصديق المعجز وتحصل لهم الخالان وورثوا المنزلتين واغتنبوا بالسعادتين أعني السعادة الشرعية والسعادة العقلية فمن هذا وشبهه يتبين لك أسعدك الله صحة تاريخ جالينوس.

أخبار العلماء بأخبار الحكماء ٥٨.

(١) محاضرات الأدباء ٣٢/٢.

ومن الحكايات الغريبة

أن بعض التجار كان عنده جارية سوداء ، وكان عنده خادم بالمنزل ، ففي بعض الأيام طلع الخادم إلى محل الجارية ودخل عليها وهي نائمة في الظلام ، فوطئها فحل لها لذة فقالت له : من أنت ؟

فقال لها : أنا العفريت الذي يعفرتك .

فلما فرغ نزل إلى محله ، فلما جاءت الليلة الثانية انتظرتة ، فلم يجئ فنزلت من وراء باب الحرم ، وجعلت تنادي وتقول : يا عفريت تعال عفرتني . وقد كثر نداؤها بهذه الصورة ، فسمع سيدها هذا النداء فقام إليها وقال : من هو العفريت يا بنت ؟

قالت : هذا الخادم أريد أن يعفرتني مثل الليلة الماضية .

فلما فهم سيدها هذه الصورة طرد الخادم وباع الجارية .

ومن اللطائف الغريبة المستحسنة الظريفة

ما قيل أن المبرد^(١) بعث غلامه لشخص وقال له : امض إليه فإن رأيتك فلا تقل له ، وإن لم تره فقل له .

فذهب الغلام ورجع فقال : لم أره فقلت له ، فجاء فلم يجيء .

وكان عنده في هذا الوقت جمع من الناس ، فتعجبوا من هذا الكلام ، فسألوا الغلام عن معنى ذلك ، فقال : أرسلني سيدي إلى غلام يهواه ، فقال : إن رأيت مولاه ، فلا تقل له شيئاً ، وإن لم تر مولاه فادعه إلينا ، فذهبت فلم أر مولاه فقلت له احضر إلى سيدي فجاء مولاه فلم يقدر الغلام أن يجيء . انتهى من الكشكول^(٢) .

* * *

(١) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، أبو العباس ، المعروف بالمبرد (٢١٠ - ٢٨٦هـ) :
إمام العربية ببغداد في زمنه ، وأحد أئمة الأدب والخبار ، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد ، من
كتبه : الكامل ، والمذكر والمؤنث ، والمقتضب ، والتعازي والمراثي . انظر : الأعلام ١٤٤/٧ ،
بغية الوعاة ١١٦ ووفيات الأعيان ١ : ٤٩٥ ، وسمط اللآلي ٣٤٠ والسيرافي ٩٦ وتاريخ بغداد
٣ : ٣٨٠ وآداب اللغة ٢ : ١٨٦ ولسان الميزان ٥ : ٤٣٠ ونزهة الألبا ٢٧٩ وطبقات النحويين

١٠٨ - ١٢٠ .

(٢) الكشكول ١/٤١٢ .

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

أقول : ومن النوادر الطريفة أن بعض الأعراب دخل على المأمون ، فقال :
يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من الأعراب .

قال : لا عجب .

قال : إني أريد الحج .

قال : الطريق واسعة .

قال : ليس معي نفقة .

قال : قد سقط عنك الحج .

قال : أيها الأمير جئتك مستجديا - أي طالبا منك الجدوى ؛ يعني النفع - لا
مستفتيا فضحك المأمون وأمر له بجائزة^(١) .

* * *

(١) حديقة الأفراح لإزاحة الأفراح ٣٧٣ .

نادرة غريبة

حكى أن رجلا رأى امرأة حسناء في طاقة، فأحبها حبا شديدا ولازم المقام
ببابها والمرور تحت طاقتها إلى أن أعيا وقل صبره وحصل على الإياس منها،
فدق عليها الباب فخرجت الجارية إليه، فدفع إليها صفقة وقال: دعي سيدتك
تبول في هذه الصفحة.

فبالت سيدتها في الصفحة وقالت للجارية: اقتفي أثره - أي اتبعيه -
وانظري ما يصنع.

فلم يزل سائرا وهو يتبعه إلى أن دخل إلى بعض الخرابات فوضع أيره في
ذلك البول وقال: يا ميشوم إذا فاتك اللحم فاشرب المرق^(١).

(١) الكشكول ١٨٨/٢، وديوان الصباية ٤٤٥.

ومن اللطائف

أن رجلا خرج إلى السوق فوجد رجلا آخر راكبا على حمار، فقال له: إلى أين تريد يا شيخ؟

فقال: إلى صلاة الجمعة.

فقال له: اليوم الثلاثاء.

فقال: له طوبى لي إن وصلني حماري للجامع إلى يوم السبت.

* * *

لطيفة

قال رجل لآخر: فلان يشتمك في غيبتك . فقال له: يا فلان، انك تشتمني في غيبتك فقال: ولو ضربني وأنا غائب لم أبال به . فقال له: يا فلان، انك تشتمني في غيبتك . فقال له: لا لأن منفعته لغيري^(١) . وقال رجل لآخر: من أين أقبلت؟ قال: من لعنة الله . قال له: رد الله غربتك^(٢) . ورأى رجل طفلا يبكي وتلاطفه أمه، فما كان يسكت، فقال: اسكت وإلا [...] أمك . فقالت المرأة: لا يصدق حتى يعاين ما قلت . فقام الرجل إليها وأدار العمل . وقال رجل لامرأة: أريد أن [...] لأعلم أنت طيب أم امرأتي فقالت له سل زوجي فإنه قد [...] امرأتك فجن الرجل . ونظر رجل إلى امرأة حسناء فقالت له يا سيدي أتريد [...] ؟ فقال نعم فقالت اقعد حتى يجيء زوجي [...] .

* * *

(١) محاضرات الأدباء ٢/٢٦٢ .

(٢) الأذكياء ١٣٥، واللفظ واللطائف ٥٨، وثمار القلوب ٣٤ .

(٣) كلمة تخدش الحياء .

نادرة ظريفة

وهي أن سائلا مشى في شارع وكان معه ابن صغير فسمع امرأة خلف جنازة وهي تبكي وتقول: أين يذهبون بك يا نور عيني؟ إلى بيت ليس فيه غطاء ولا أكل ولا شرب.

فقال ابن السائل لأبيه: هذا الميت يذهبون به إلى بيتنا يا أبي.

لطيفة

قيل عن رجلا جاء إلى حكيم وقال له : إن في بطني معمة وقرقرة .
فقال له : أما المعمة فلا أعرفها وأما القرقرة فضراط^(١) .

ومن اللطائف أيضا : أن هارون الرشيد خرج يوما ليتفرج في بغداد ويتبصر أحوالها ، فمر في بعض الطرق فوجد رجلا رمالا يضرب بالرمل ، فأتى إليه وقال له : ماذا تصنع ؟

فقال : أضرب الرمل فقل بي أمراض أخبرك بها ؟
فقال : قل .

فقال : شعر ذقني به مغص وما آكله من الطيبات ينزل خبيثا من أسفل وبياطني ظلمة .

فقال له : أما ما بلحيتك من المغص فعليك بالموسى ، وأما ما تأكله من الطيبات فينزل خبيثا من أسفل فكله خبيثا ينزل خبيثا ، وأما ما تراه من الظلمة في باطنك فعلق على باب استك قنديلا لأجل أن ينور على استك وبطنك فضحك منه وأجازه .

وحكي أنه عرضت على الملك الرشيد جارية مغنية وقيل : حافظة للقرآن ، فتبسم الملك الرشيد في وجهها وقال في أي سورة أتت : ﴿فَأَسْتَغْلَظُ فَأَسْتَوِي﴾ . فلما سمعت ذلك حلت سروالها وقالت : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١﴾ .

وفي هذا القدر كفاية من الفكاهة ، والله أعلم بحقائق الأحوال .
وحيث انتهى ما أشرنا إليه من الحكايات اللطيفة والنوادر الظريفة ، أحببنا أن نذكر جملة ظريفة ونبذة لطيفة تتعلق بالعاشقين من الملوك وأرباب المعرفة في هذا الطريق المسلوك فقلنا :

(١) العقد الفريد ٣/ ٢٦٤ ، ومحاضرات الأدباء ١/ ٢٠٩ .

الباب السابع

عشر في جملة ظريفة ونبذة لطيفة
ونكات أدبية وعبارات كالتبر ذهبية
تتعلق بالعاشقين من الملوك
وأرباب المعرفة في هذا الطريق المسلوك

اعلم أنني لم أذكر في هذا الباب سوى أخبار أحسن الملوك طباعا، وأطولهم
في هذا السير باعا، ومن له القدم الراسخ في المحبة والرغبة الزائدة في دوام
الصحة، وأطيبهم عيشا، وأرقهم حكايات، وأحسنهم شعرا.
واذكر ذلك على حسب ما سولته لهم نفوسهم، ومن هنا نشعر في
المقصود متوكلين على الملك المعبود.

قال بعض الفلاسفة^(١): لم أر حقا أشبه بباطل من العشق، ولا باطلا أشبه
بحق من العشق؛ هزله جد، وجده هزل، وأوله لب، وآخره، عطب كما قال
الشاعر^(٢): [المتقارب]

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظننها موجة فلما تمكن منها غرق
حكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد كان يهوى جارية فتغاضب معها
وهجرها، فأمر الوزير جعفر^(٣)

(١) ديوان الصبابة ٧١، ومحاضرات الأدباء ٣٥/٢، مصارع العشاق، ص ٢٤.

(٢) ديوان الصبابة ٧١، والكشكول ٧٨/١.

(٣) جعفر اليرمكي (١٥٠ - ١٨٧هـ/٧٦٧ - ٨٠٣م) هو: جعفر بن يحيى بن خالد اليرمكي، أبو
الفضل: وزير الرشيد العباسي، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم. ولد ونشأ في بغداد،
واستوزره هارون الرشيد، ملقيا إليه أزمة الملك، وكان يدعوه: أخي. فانقادت له الدولة، =

العباس بن الأحنف^(١) أن يعمل شيئاً من الشعر في ذلك فقال^(٢): [الكامل]
 راجع أحببتك الذين هجرتهم . إن التميم قلما يتجنب
 إن التجنب إن تطاول منكما . دب السلو له فعز المطلب
 ثم أمر إبراهيم الموصلي أن يغني بهذين البيتين عند الرشيد، فغنى بهما
 عنده، فلما سمع هذا الشعر أرضاها، فعند ذلك أمرت لكل من إبراهيم
 الموصلي والعباس بعشرة آلاف درهم، وأمر الرشيد لكل منهما بأربعين ألفاً .
 قال عباس بن الأحنف^(٣): [الطويل]

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوما فقل أنا ظالم

= يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه، إلى أن نعم الرشيد على البرامكة نقمته المشهورة، فقتله في
 مقدمتهم، ثم أحرق جثته بعد سنة .
 وكانت لجعفر توقعات جميلة . وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول . وكرم اليد
 والنفس، قالوا في وصف حديثه: (جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة، وإفهاما يغنيه عن
 الاعداء) وكان كاتباً . بليغاً، يحتفظ الكتاب بتوقيعاته يتدارسونها . والبرامكة يرجعون في
 أنسابهم إلى الفرس .

ترجمته في الوزراء والكتاب الجهشياري ٢٠٤، والأعلام ٢/١٣٠ .

- (١) العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي، أبو الفضل (ت ١٩٢هـ) : شاعر غزل رقيق، قال
 فيه البحري: أغزل الناس . أصله من اليمامة (في نجد) وكان أهله في البصرة، وبها مات أبوه،
 ونشأ هو ببغداد، وتوفي بها - وقيل بالبصرة - خالف الشعراء في طريقتهم فلم يمدح ولم يهج،
 بل كان شعره كله غزلاً وتشبيهاً، له ديوان شعر، وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي . انظر:
 الأعلام ٣/٢٥٩، وفيات الأعيان ١: ٢٤٥ ومعاهد التنصيص ١: ٥٤ والأغاني، طبعة الدار،
 ٨: ٣٥٢ والشعر والشعراء ٣٣٥ والنجوم الزاهرة ٢: ١٢٧ والبداية والنهاية ١٠: ٢٠٩ .
 (٢) ديوان العباس بن الأحنف ١٨، والأغاني ٢/٥٤، والزهرة ١/٢١، والمحاسن والمسائير ١/
 ١١١، ومحاضرات الأدباء ١/٣٥٧، والتذكرة الحمدونية ٢/٢١٤ .
 (٣) ديوانه ٢٠٦، والأغاني ٢/٤٣١، وحياة الحيوان الكبرى ١/١١٩، ومحاضرات الأدباء ١/
 ٣٤٧، والعمدة لابن رشيق ١/١٣٨، وحماسة القرشي ١/٢١ .

فإنك إن لم تغفر الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغم
 وقال ابن الفصيح^(١) في المعنى^(٢): [المجتث]
 زار الحبيب فحينا يا حسن ذاك المحيا
 من صده كنت ميتا من وصله عدت حيا
 وحكي أن المأمون رأى غلاما ظريفا حسنا فعشقه، وكان هذا الغلام
 لأحمد بن يوسف^(٣)، فقال له ما اسمك يا غلام؟

فقال له: فتح

فقال المأمون شعرا^(٤):

يا فتح يا فاتحا لسلاوائي^(٥) ويا عليما بطول شكوائني
 الحمد لله لا شريك له مولاك عبدي وأنت مولائي

(١) أحمد بن علي بن أحمد الكوفي البغدادي، أبو طالب، فخر الدين ابن الفصيح (٦٨٠ - ٧٥٥هـ): فاضل، من فقهاء الحنفية، له نظم ونثر، أصله من الكوفة وانتقل إلى بغداد، وتصدى للإفتاء والتدريس بدمشق، وتوفي فيها. انظر: الأعلام ١/١٥٧، النجوم الزاهرة ١٠: ٢٩٧ والدرر الكامنة ١: ٢٠٤ والجواهر المضية ١: ٧٩.

(٢) النجوم الزاهرة ١٠: ٢٩٧.

(٣) هو: أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء، المعروف بالكاتب: وزير من كبار الكتاب. من أهل الكوفة. ولي ديوان الرسائل للمأمون، واستوزره بعد أحمد بن أبي خالد الأحول، وتوفي ببغداد. وكان فصيحاً، قوي البديهة، يقول الشعر الجيد، له (رسائل) مدونة. وهو صاحب البيت المشهور:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق.

ترجمته في تاريخ بغداد ٥/٢١٦ والوزراء والكتاب ٣٠٤. ومعجم الأدباء ٢/١٦٠، الأعلام ١/ ٢٧٢.

(٤) ديوان الصباية ١٠٩.

(٥) في مصدر التخريج: (لبلوائي).

فبلغ ذلك أحمد بن يوسف فوهبه الغلام
ومن غريب ما يحكى أن يزيد بن عبد الملك بن مروان^(١) كان صبياً بحب
جارية فخلا يوماً بها وهو في لهو ولعب ، وقال لأكاذين قول من قال : إن الدهر
لا يصفو لأحد يوماً .

فأحضر حاجبه وقال له : لا تأذن لأحد أن يدخل علي ، ولا تُدخل علي
خبيراً قط ، ولا تدع أحداً يأتيني بخبر ولو كان فيه ذهاب ملكي مدة هذا اليوم .
وأقام مع الجارية في أتم حال فرحاً بذلك ، وكان قد أحضر من المشمومات
والمطعمومات من الثمار والفواكه ما لم يوجد عند أحد غيره ، وكان من جملة
الفواكه التي حضرت لديه الرمان ، فكسرت الجارية رمانة وتناولت منها واحدة
فشرقت فماتت لوقتها ، فعرض له نوع من الوله فحال بينه وبين الصبر ومنع من

(١) يزيد بن عبد الملك (٧١ - ١٠٥ هـ / ٦٩٠ - ٧٢٤ م) هو: يزيد بن عبد الملك بن مروان ، أبو
خالد : من ملوك الدولة الأموية في الشام . ولد في دمشق ، وولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد
العزيز (سنة ١٠١ هـ) بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك . وكانت في أيامه غزوات أعظمها
حرب الجراح الحكمي مع الترك وانتصاره عليهم . وخرج عليه يزيد بن المهلب ، بالبصرة ، فوجه
إليه أخاه مسلمة فقتله . وكان أبيض جسيماً مدور الوجه ، مليحاً ، فيه مروءة كاملة ، مع إفراط
في الانصراف إلى اللذات . ومات في إربد (من بلاد الأردن) أو الجولان ، بعد موت "قينة" له
اسمها "حبابة" بأيام يسيرة ، وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق ، فدفن فيها . وكان لحبابة ،
هذه ، أثر في أحكام التولية والعزل ، على عهده . ونقل الديار بكرى (في تاريخ الخميس) أنه :
"مات عشقاً" قال : "ولا يعلم خليفة مات عشقاً غيره" وكان يلقب بـ "القادر بصنع الله" ونقش
خاتمه : "في الشباب يا يزيد ! وزبما قيل له "يزيد بن عاتكة" نسبة إلى أمه عاتكة بنت يزيد بن
معاوية . ونقل الياضي أنه لما استخلف قال : سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز ، فأتوه بأربعين
شيخاً شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب ! وكانت مدة خلافته أربع سنين
وشهراً .

ترجمته في : الأعلام ٨ / ١٨٥ .

دفنها حتى سأله جماعة من بني أمية في ذلك ولاطفوه فأمر بدفنها وأنشد
قائلاً^(١): [الطويل]

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى فبالياس نسلو عنك لا بالتجلد^(٢)
وقيل: إنه لم يقم بعدها إلا سبعة أيام، ومات أسفا عليها، وما كان يصفو
له الدهر ومن ثم أنشد بعضهم: [مجزوء الرمل]

ما صفا الدهر لخل نصف يوم وأتمه
وحكي أن حمادا^(٣) قال كنت عند جعفر بن سليمان^(٤) بالبصرة، وإذا

(١) البيت لكثير عزة، ديوانه ١٠٨.

(٢) الكامل للمبرد ٢٠٣/١، وسير أعلام النبلاء ١٥١/٥.

(٣) حماد الراوية (٩٥ - ١٥٥هـ/٧١٤ - ٧٧٢م) هو: حماد بن سابور بن المبارك، أبو القاسم: أول
من لقب بالراوية. وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها. أصله
من الديلم، ومولده في الكوفة. جال في البادية ورحل إلى الشام. وتقدم عند بني أمية، فكانوا
يستزيرونه ويسألونه عن أيام العرب وعلومها، ويجزلون صلته. وهو الذي جمع السبع الطوال
(المعلقات)، وقيل: كان في أول مرة يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ثم طلب الأدب
وترك ما كان عليه. وفيه يقول الطهوي: (نعم الفتى لو كان يعرف ربه أو حين وقت صلاته،
حماد) وتوفي في بغداد.

ترجمته في: نزهة الألباء ٤٣، ووفيات الأعيان ١/١٦٤، والأغانى ٦/٧٠ وهو فيه (حماد بن
ميسرة) أو (حماد بن سابور) روايتان. ولسان الميزان ٢/٣٥٢.

(٤) هو: جعفر بن سليمان بن علي بن حبر الأمة، عبد الله بن عباس، الأمير، سيد بني هاشم، أبو
القاسم العباسي. ابن عم المنصور. روى عن أبيه. وعنه: ابنه: قاسم، ويعقوب، وعمر بن
عامر، والأصمعي. وكان من نبلاء الملوك جودا وبذلا، وشجاعة وعلمًا، وجلالة، وسؤددا،
ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشيد. قال عبد السميع بن علي: لا
نعرف في بني هاشم أعبط منه، حصل له الشرف والإمرة والمال الجم، والاولاد الزهر،
والعبيد. مات عن ثمانين ولدا لصلبه، منهم ثلاثة وأربعون ذكرا. وولي ابنه أيوب اليمن في
حياته. وله مآثر كثيرة ووقف على المنقطمين. قال الأصمعي: ما رأيت أكرم أخلاقا، ولا
أشرف أفعالا منه.

بشباب من أحسن الناس وجها أدخل عليه ومعه جارية كأنها قضيب بان أو حوراء فرت من رضوان، فقال صاحب الشرطة: أصلح الله الأمير، إني وجدت هذا وهذه - وأشار للغلام والجارية - مجتمعين في خلوة وليس هو لها بمحرم.

فقال جعفر للفتى: ما تقول؟

فقال: صدق، ولقد طال والله غرامي بها، وأنا أحبها منذ ثلاث سنين، والله ما أمكنتني الخلوة بها إلا في هذا الوقت، وأنشد قائلاً: [الطويل]

تمنيت من ربي أفوز بقربها فلما تمهيا لي المنى عاقه العسر
ووالله بل والله ما كان ريبة وما كان إلا اللفظ والضحك والبشر
فدونكما جلدي ولا تجلدونها فكم من حرام كان من دونه ستر
ثم إن الجارية علت تبكي بكاء شديداً.

فقال لها: وأنت لم تبكين؟

فقالت: والله شفقة على ما حل بنا، وكيف احتلت حتى خرجت، وكيف بلينا بهذه البلية.

فقال: أتجيبينه؟

قالت: نعم.

قال: أنت حرة أم مملوكة؟

قالت: بل مملوكة.

= ترجمته في: المعرفة والتاريخ للفسوي: ١/١٣١، ١٣٢، ١٣٥، الكامل لابن الأثير: ٥/٥٤٩،
٥٦٤، ٥٦٩، و٦١/٥٦/٦، ١١٩، عيون الأخبار: ١/٢٢٢ و٢٥٣/٢ و٢٤/٣، ١٩٩،
وسير أعلام النبلاء ٨/٢٣٩.

فأمرها أن تدخل الدار وأحضر مولاها فاشتراها منه بمائتي دينار وأعتقها
وزوجها للفتى، ووهب له مائتي دينار وكساهما فأنشد الفتى: [الطويل]
لقد جدت يا ابن الأكرمين بنعمة جمعت بها بين المحبين في ستر
فلا زلت بالإحسان كهفا وملجأ وقد جل ما قد كان منك عن الشكر
فضحك ثم أمر لهما بجائزة وانصرفا بسلام^(١).

وحكي أن بعض الظرفاء بمصر كان عنده شاب من أحسن الناس وجهها،
وكان يحبه حبا شديدا، إذ دخل عليه في بعض الأيام أحد أصحابه فوجد
الشاب قائما أمام سيده، فقال له: ماذا تصنع بهذا الشاب الحسن؟

فقال: هذا مصباح أستنير به إذا غاب عني طفئ مصباحي، وهو راحتي في
غدوي ورواحي، لا أملُّ عنه ولا أسأم منه، بل إذا غاب أحرم النوم في الأمس
والغد واليوم. فانظريا أخي على هذا الجواب الذي يكاد أن يأخذ بالألباب، وما
هو ناشيء إلا عمن كان قد كابد فراق الأحباب، فإذا حصل هذا لم يكن شيء
يستطاب.

وحكي أنه كان لسليمان بن عبد الملك^(٢) غلام وجارية، وكان ذلك الغلام
يحب تلك الجارية، فكتب الغلام إليها هذا الشعر: [الكامل]

(١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة ٨٤.

(٢) سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب (٥٤ - ٩٩ هـ): الخليفة الأموي، ولد في دمشق،
ورولي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦ هـ وكان بالرملة، فلم يتخلف من مبايعته أحد،
فأطلق الأسرى وأخلى السجون وعفى عن المجرمين، وأحسن إلى الناس، وكان عاقلا فصيحاً
طموحاً إلى الفتح، جهز جيشاً كبيراً وسيره في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك،
لحصار القسطنطينية، وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان، وكانت في أيدي الترك، وتوفي في
دابق وكانت عاصمته دمشق، ومدة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلا أياماً. انظر: الأعلام ٣/
١٣٠، ابن الأثير ٥: ١٤ والطبري ٨: ١٢٦.

ولقد رأيتك في المنام كأنما أعطيتني من ريق فيك البارد
 وكان كفك في يدي وكأننا بتنا جميعا في فراش واحد
 فطفقت يومي كله متراقدا لأراك في نومي ولست براقدا
 فلما وصل إليها كتابه ونظرت إليه، بكت لبعده عنها وحنّت عليه،
 وأجابت مسرعة تقول لإرسال ذلك مع الرسول: [الكامل]

خيرا رأيت وكل ما عاينته ستناله مني برغم الحاسد
 إني لأرجو أن تكون معانقي فتبيت مني فوق ثدي ناهد
 وأراك بين خلاخي ومدالجي وأراك بين مداخلي ومدالجي
 فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك، فأنكحه إياها وأحسن جهازهما.
 ويقال: إنه أنجز عتقها^(١).

وحكي أن فتى من أشرف السادات كان يهوى جارية اسمها صدقة،
 فاتفق أن واعدته ليلة ولم تأته، فخرج إلى دارها وسأل عنها، فقيل له: إنها مع
 جماعة في الطبقة الفلانية. فأسرع نحوها وأراد أن يهجم عليهم، فمنعه
 الحاجب ولم يرض أن يدخله عليهم، وأغلق الباب في وجهه، فوقف تحت
 الطبقة وأنشد قائلا: [مجزوء الكامل]

يا أهل هذي الطبقة هل عندكم من شفقه
 لسائل قد جاءكم يطلب منكم صدقه
 فسمعه بعض من في الطبقة، ثم أشرف عليه بعض الجماعة وقال مجيبا له
 على أحسن حال: [مجزوء الكامل]

يا من يروم الشفقه بمهجة محترقه

(١) العقد الفريد ٢/٤١١، والإمام الشواعر ٢٤، والمستطرف ١/٣٩٤، وديوان الصباية ٥٩،

وربيع الأبرار ١/٢٩٨.

جذك يا ذا لم يحمل أخذك منا صدقه
فلما سمع الشاب هذا الشعر خجل وانصرف وقلبه يلتهب حبا وغراما
ومهجته تشتعل وجدا وهياما ، ولم يستقر له قرار ولم يكن عنده أدنى اضطبار ،
ولكن دعتة الصورة إلى ذلك على ما فيه من اقتحام المهالك ، والأمر يومئذ لله إذ
لا ينفع ولا يضر أحد سواه^(١) .

وحكي أن بعض الظرفاء قال : كانت لي جارية ظريفة ، وكنت أحبها حبا
شديدا ، قالت لي يوما : يا مولاي ، كنت تنشد أبياتا أولها خليلي .

فقلت لها : لعلها قول العباس بن الأحنف^(٢) : [الطويل]

خليلي ما للعاشقين قلوب ولا للعيون الناظرات ذنوب
فيا معشر العشاق ما أوجع الهوى إذا كان لا يلقي الحبيب حبيب
قالت : لا غير هذا .

فقال لها : كيف هو ؟

فقالت^(٣) : [الطويل]

خليلي ما للعاشقين أيور ولا لحبيب ما ينال سرور
فيا معشر العشاق ما أوجع الهوى إذا كان في أير المحب فتور
ففطن لذلك فقام إليها واعتنقها وجامعها ، فكان هذا جل مقصدها وغاية
مرادها وموردتها^(٤) .

فانظر يا أخي تلك القضية وتأمل كم للنساء من بلية .

(١) ثمرات الأوراق ٢٠١ .

(٢) ديوانه ٤٥ .

(٣) البیتان فی دیوان عنان الناطفیه ٣٥ .

(٤) الإمام الشعاع ٢٧ .

وحكي أن محمد بن سكرة^(١) أحب غلاما أعرج ، فلامه الناس على ذلك
فأنشد قائلا^(٢) : [الكامل]

قالوا بليت بأعرج فأجبتهم العيب يحدث في غصون البان
إني أحب حديثه وأريده للنوم لا للحرب في الميدان
وحكي عن بعض الأدباء أنه كان يعشق جارية فقالت له : أنت صحيح
الحب كامل الوفاء ؟
فقال لها : نعم .
فقالت : امض بنا حيث شئت .

فلما حصل في منزله لم يكن له اهتمام إلا برفع ساقها ، فرفعها وجعل
يجامعها وهي آخذة منه بمجامع جوارحه ، فقالت له - وهما في أثناء العمل - :
[البيسط]

أسرفت في نيكنا والنيك مصلحة فارفق بفضلك إن الرفق محمود
فأجابها وهما في العمل أيضا بقوله : [البيسط]
ولم أنك نيك من تبقى مودته لكن نيكى هذا النيك مجهود
ففزعت من تحته وقالت له : يا فاسق أراك على خلاف ما قلت كأنك تجعل
جماعي هذا سببا لذهاب حبك ، والله لا جمعني وإياك سقف بعد هذا أبدا .
وحكى أحمد بن الفضل أن غلاما وجارية كانا في كُتَّاب - وكان هذا

(١) محمد بن سكرة (٣٨٥هـ/٩٩٥م) هو : محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي ، البغدادي
المعروف بابن سكرة (أبو الحسن) أديب ، شاعر . من آثاره : ديوان شعر ، يزيد على خمسين ألف
بيت .

ترجمته في : معجم المؤلفين ١٠/٢٤٧ .
(٢) انظر : بئمة الدهر ١/٣١٣ ، وفيات الأعيان ٤/٤١١ .

الغلام عريف الكتاب - فهوي الغلام الجارية ، فلم يزل يتلطف بمعلمه حتى صيره قريبا منها ، فلما كان في بعض إيايه استغفل الغلمان ، وكتب في لوح الجارية^(١) :
[البسيط]

ماذا تقولين فيمن شفه سقم من طول حبك حتى صار حيرانا
فلما رأته الجارية تفرغرت عيناها وسال دمعها من شدة مبكاها رحمة منها له
وشدة رقة ، وكتبت تحته هذا البيت تقول : [البسيط]

إذا رأينا محبا قد أضرَّ به طول الصبابة أوليناه إحسانا
فجاء المعلم فسمع الكلام منهم فأخذ اللوح وكتب هذين البيتين : [البسيط]
صلى العريف ولا تخشين من أحد أمسى العريف صغير السن ولهانا
أما الفقيه فلا يسطو عليه أذى فإنه قد بلي بالعشق ألوانا
فحيثذ أصل المواصلة حصول المراسلة .

وحكي عن أحمد بن أبي عثمان الكاتب أنه كان صديقا لأبي الفضل
عبد الغفار الأنصاري ، فعشق أحمد جارية لأم جعفر اسمها نعى ، وهام بها
وجدا ، وتولع بها أياما عددا ، فأطلعه على سره ووصفها له فعشقه عبد الغفار
الأنصاري ، فاعتل علة طويلة فاتصل خبره بأم جعفر ، وظنت أن به علة ،
فوجهت إليه طبيبا فحين رأى ذلك الطبيب أنشد قائلا : [الخفيف]

أرسلت أم جعفر لي طبيبا لدوائي فضل علم الطبيب
فدوائي وأصل دائي لديها في يدي شادن غرير ربيب
خبروها بأن نعى دوائي كي تداوي مريضها عن قريب
فسمعت أم جعفر الأبيات وسألت عن قصته ، فلما وقفت عليها وهبت

(١) ديوان الصبابة ، ٣٢٧ .

الجارية. وهجر أحمد عبد الغفار وقال : جعلتك موضعاً لسري فأفسدت علي^(١) .
 وحكي عن الأصمعي أنه قال : دخلت البصرة أريد بادية بني سعد ، وكان
 على البصرة يومئذ واليا خالد بن عبد الله القسري^(٢) ، فدخلت عليه يوماً
 فوجدت قوماً متعلقين بشاب ذي جمال وكمال وأدب ظاهر بوجه زاهر ، حسن
 الصورة طيب الرائحة جميل البزة عليه سكينه ووقار ، فقدموه إلى خالد فسألهم
 عن قصته فقالوا : هذا لص أصبناه البارحة في منازلنا .

فنظر إليه خالد فأعجبه حسن هيئته ونظافته ، فقال : خلوا عنه .
 ثم أدناه منه وسأله عن قصته فقال : إن القول ما قالوه والأمر علي ما
 ذكروه .

فقال له خالد : ما حملك على ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة ؟
 فقال : حملني الشر في الدنيا ، وبذا قضى الله سبحانه وتعالى .
 فقال له خالد : ثكلتك أمك أما كان لك في جمال وجهك ، وكمال
 عقلك وحسن أدبك زاجر عن السرقة ؟

قال : دع عنك هذا أيها الأمير ، وأنفد في ما أمرك الله تعالى به ، فذلك بما

(١) ديوان الصباية ٢١٢ .

(٢) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري ، من بجيلة ، أبو الهيثم (٦٦ - ١٢٦هـ) : أمير
 العراقين ، وأحد خطباء العرب وأجوادهم ، يمني الأصل ، من أهل دمشق ، ولي مكة سنة ٨٩ هـ
 للوليد بن عبد الملك ، ثم ولاة هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة ١٠٥ هـ ، فأقام بالكوفة ،
 وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة ١٢٠ هـ وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن
 يحاسبه ، فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة ، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد ، وكان خالد يرمى
 بالزندقة ، وللغززدق هجاء فيه . انظر : للأهلام ٢/٢٩٧ ، الأغاني ١٩ : ٥٣ - ٦٤ وتهذيب ابن
 عساكر ٥ : ٦٧ - ٨٠ والموفيات ١ : ١٦٩ وابن خلدون ٣ : ١٠٥ وما قبلها ، وابن الأثير ٤ :
 ٢٠٥ ثم ٥ : ١٠١ .

كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد .
فسكت خالد ساعة يفكر في أمر الفتى ، ثم أدناه منه ، وقال له : إن
اعترافك على رعوس الأشهاد قد رابني ، وأنا ما أظنك سارقا ، وإن لك قصة غير
السرقه ، فأخبرني بها .

فقال : أيها الأمير لا يقع في نفسك شيء سوى ما اعترفت به عندك ، وليس
لي قصة أشرحها لك ، إلا أنني دخلت دار هؤلاء فسرقت منها مالا ، فأدركوني
وأخذوه مني وحملوني إليك ، فأمر خالد بحبسهم ، وأمر مناديا ينادي في
البصرة : ألا من أحب أن ينظر إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من
الغد .

فلما استقر الفتى في الحبس ، ووضع في رجليه الحديد تنفس الصعداء ،
وأنشد قائلا : [المنسرح]

هددني خالد بقطع يدي إذ لم أبح عنده بقصتها
فقلت هيهات أن أبوح بما تضمن القلب من محبتها
قطع يدي بالذي اعترفت به أهون للقلب من فضيحتها

فعند ذلك سمعه الموكلون بالسجن ، فأتوا خالدا وأخبروه بذلك ، فلما جن
الليل أمر خالد بإحضاره عنده ، فلما حضر استنطقه فرآه أديبا عاقلا ليبيبا ظريفا ،
أعجب به فأمر له بطعام ، فأكلا وتحادثا ساعة ، ثم قال له خالد : قد علمت أن
لك قصة غير السرقه ، فإذا كان الغد وحضر الناس والقضاة وسألتك عن
السرقه ، فأنكرها واذكر فيها شيئا تدرأ عنك القطع ؛ فقد قال رسول الله ﷺ :
« ادرعوا الحدود بالشبهات »^(١) .

(١) أورده الباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز (ص ٢٦٦ ، رقم ٤٨ - طبعة مكتبة دار الدعوة) ،
وعزاه لأبي مسلم الكجبي ، وابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد . وأورده السخاوي في =

ثم أمر به إلى السجن ، فلما أصبح الصباح لم يبق أحد من أهل البصرة لا ذكر ولا أنثى إلا حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى ، وركب خالد ومعه وجوه وأعيان أهل البصرة وغيرهم ، ثم دعا بالقضاة وأمر بإحضار الفتى ، فأقبل يخجل في قيوده ولم يبق أحد من الناس من رجال ونساء إلا بكى عليه ، وارتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب ، فأمر خالد بتسكين الناس ، فإنها كادت أن تكون فتنه .

ثم قال له خالد : إن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت لعلك سرقت دون النصاب ؟

فقال بل : سرقت نصابا كاملا .

قال : فلعلك سرقت من غير حرز مثله ؟

قال : بل من حرز مثله .

قال : فلعلك شريك القوم في شيء منه ؟

قال : بل هو جميعه لهم لا حق لي فيه .

فغضب خالد وقام إليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت^(١) : [الوافر]

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما أراد
ثم دعا بالجلاد ليقطع يده ، فحضر وأخرج السكين ومد يده ووضع عليها

= المقاصد (ص ٣٠ ، رقم ٤٦) وعزاه لأبي سعد بن السمعاني في الدليل في ترجمة الحسين بن علي بن أحمد الخياط المقرئ . قال العجلوني (٧٣/١) : قال البخاري : قال شيخنا - يعني الحافظ ابن حجر - : وفي سنه من لا يعرف انتهى .

(١) البيت ينسب للشافعي في ديوانه ٣٨ ، وينسب لأبي الدرداء في أخبار أبي القاسم الزجاجي ص ٦ ، وريع الأبرار ٤١٧/١ .

السكين، فبادرت جارية من صف النساء عليها آثار وسخ، فصرخت ورمت بنفسها على الغلام ثم أسفرت عن وجه كأنه البدر، وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد أن تقع منها فتنة، ثم نادى بأعلى صوتها: ناشدتك الله أيها الأمير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة، ثم دفعت إليه رقعة ففضها خالد فإذا هي مكتوب فيها هذه الأبيات: [الطويل]

رمته لحاظي من قسي الحمالمق	أخالد هذا مستهام متيم
حليف جوى من دائه غير فائق	فأصماه سهم اللحظ مني فقلبه
رأى ذاك خيرا من هتيكة عاشق	أقر بما لم يقترفه لأنه
كريم السجايا في الهوى غير سارق	فمهلا على الصب الكئيب لأنه

فلما قرأ خالد الأبيات تنحى وانعزل عن الناس، وأحضر المرأة، ثم سألها عن القصة، فأخبرته أن هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك، وأنه أراد زيارتها وأن يعلمها بمكانه، فرمى بحجر إلى الدار، فسمع أبوها وإخوتها صوت الحجر عند الرمي، فصعدوا إليه، فلما أحس بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة، فأخذوه وقالوا: إن هذا سارق. وأتوا به إليك فاعترف بالسرقة، وأصر على ذلك حتى لا يفضحني بين إخوتي، وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يهتك السر، كل ذلك لغزارة مروءته وكرم نفسه.

فقال خالد: إنه خليك بذلك حقيق بما تقولينه مما هنالك، ثم استدعى الفتى إليه وقبل ما بين عينيه وأمر بإحضار أبي الجارية، وقال له: يا شيخ، إنا كنا عزمنا على إنفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع، وإن الله عز وجل قد عصمنا من ذلك، وقد أمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانتة لكما من العار، وقد أمرت لابنتك بعشرة آلاف درهم أيضا، وأنا أسألك أن تأذن لي في تزويجها منه.

فقال الشيخ : قد أذنت يا أيها الأمير بذلك .

فحمد الله خالد وأثنى عليه بما هو أهله وخطب خطبة حسنة وزوجها منه بقوله للفتى : قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة بإذنها ورضاها وإذن أبيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم .

فقال الفتى : قبلت منك هذا التزويج . وأمر بحمل المال إلى دار الفتى مزفوفاً في الصواني ، وانصرف الناس مسرورين ، ولم يبق أحد في سوق البصرة إلا نثر عليهما اللوز والسكر والدراهم حتى دخلا منزلهما مسرورين مزفوفين .

قال الأصمعي : فما رأيت يوماً أعجب من ذلك اليوم أوله بكاء وترح وآخره سرور وفرح^(١) .

* * *

(١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة ٨٨ .

خاتمة الكتاب

وتحفة لذوي الآداب

أقول : اعلم أن حقيقة العشق ، وبيان ما ينشأ عنه ذلك ، وأصل التغزل بالذوات الحسنة وألفة النفس لها - إنما هو ناشئ عن النظر بالعين ولكن محلّه القلب .

وسئل أفلاطون^(١) عن العشق فقال : هو لا يعرض إلا لأهل الفراغ . أي الذين لا اشتغال لهم بشيء^(٢) .

وقال بعضهم : العشق داء عارض يصطاد قلباً خلياً ، ويورثه ألماً جلياً يحرك منه الساكن ويسكن فيه الداء المائن .

(١) أفلاطون بن أرسطون أحد أساطين الحكمة الخمسة من يونان كبير القدر فيهم مقبول القول بليغ في مقاصده أخذ عن فيثاغورس اليوناني وشارك سقراط في الأخذ عنه ولم يشتهر ذكره بين علماء يونان إلا بعد موت سقراط وكان أفلاطون شريف النسب في بيوت يونان من بيت علم واحتوى على جميع فنون الطبيعة وصنف كتباً كثيرة مشهورة في فنون الحكمة وذهب فيها إلى الرمز والإغلاق واشتهر جماعة من تلاميذه المتخرجين على سادوا بانتسابهم إليه وكان يعلم الطالبين الفلسفة وهو ماش وسمى الناس فرقته المشائين وفوض في آخر عمره المفاوضة والتعليم والتدريس إلى أرشد أصحابه وانقطع إلى العبادة والاعتزال وعاش ثمانين سنة وكان أفلاطون في قدیم يميل إلى الشعر وأخذ منه بخط متوفر ثم حضر مجلس سقراط فرآه يذم الشعر وأهله ويقول هي خيالات تشع بالخلائق لا على الحقيقة وطلب الحقائق أولي فتركه عند ذلك أفلاطون ثم انتقل إلى قول فيثاغورس في الأشياء المعقولة ويقال أنه عاش إحدى وثمانين سنة وعنه أخذ أرسطوطاليس وخلفه بعد موته وقال إسحاق أنه أخذ عن سقراط وتوفي أفلاطون في السنة التي ولد فيها الإسكندر .

ترجمته في أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ، ص ١١ .

(٢) ربيع الأبرار ٢١٠٢/٣

وأقول : إنه لا يكون غالبا إلا لذات حسنة ذات ألفاظ حسنة وأدب كامل ،
وقد كسي ثوب الملاحاة والجمال .

وقال بعض الحكماء : العشق طائر لا يلتقط إلا حبة القلب .

قال الشاعر الذي هو في الحب ماهر^(١) : [الطويل]

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي خاليا فتمكنا
قال أبو الريحان البيروني^(٢) في كتابه المسمى بالجواهر أن الحسن في
الصورة، والجمال في الهيئة، وهما محبوبان بالطبع حتى إن رسول الله ﷺ
كان يستوفد حسان بن ثابت^(٣) ﷺ صورته .

(١) البيت ليزيد بن الطثيرة في ديوانه ٦٤، وأخبار أبي تمام ٢٦٤، وينسب للمجنون في البيان
والتبيين ٤٥/٢ .

(٢) محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي (٢٦٢ - ٤٤٠هـ) : فيلسوف رياضي مؤرخ،
من أهل خوارزم، أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، اطلع على فلسفة اليونانيين
والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره، وصنف كتبا كثيرة جدا، متقنة،
رأى ياقوت فهرستها بمرور، متقنة، رأى ياقوت فهرستها بمرور، في ستين ورقة بخط مكتشف،
وياقوت مكثر من النقل عن كتبه، منها : الآثار الباقية عن القرون الخالية، والاستيعاب في صنعة
الاسطرلاب، والجواهر في معرفة الجواهر، وتاريخ الأمم الشرقية . انظر : الأعلام ٣١٤/٥،
حكماء الإسلام ٧٢ وبقية الوعاة ٢٠ وإرشاد الأريب ٦ : ٣٠٨ وتاريخ مختصر الدول ٣٢٤
والذريعة ١ : ٥٠٧ ثم ٢ : ٢٦ .

(٣) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد (ت ٥٤هـ) : الصحابي، شاعر النبي
ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في
الإسلام، وكان من سكان المدينة، واشتهرت مدائحه في الغسانين، وملوك الحيرة، قبل
الإسلام، وعمي قبيل وفاته، لم يشهد مع النبي ﷺ مشهدا، لعله أصابته، وكانت له ناصية
يسدلها بين عينيه، وكان شديد الهجاء، فحل الشعر . انظر : الأعلام ١٧٥/٢، ١٧٦،
تهذيب التهذيب ٢ : ٢٤٧ والإصابة ١ : ٣٢٦ وابن عساكر ٤ : ١٢٥ ومعاهد التنصيص ١ :
٢٠٩ وخزانة البغدادي ١ : ١١١ .

وقد أجمع الحكماء وعموم الأطباء على أن النظر إلى الصورة الجميلة اللطيفة يفرح النفس وينشطها، ويقوي القلب قوة لا مزيد عليها.

وقد قيل: إن بعض الظرفاء كان ينظر إلى الذات الحسنة ويتأمل في محاسنها أشد التأمل، ويقصد بذلك التدبير في صنع الباري جل وعلا.

وقد قيل في هذا المعنى^(١): [الطويل]

أنزه في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرما
ولا أرتضي فعل القبيح وإنما أشاهد صنع الله في الحسن أعظما

وقال بعضهم: يقال في المليح جميل، ولا يقال في الجميل مليح؛ فالجميل الذي إذا نظرت إليه من بعيد أخذ جملة بصرك، وإذا قرب منك لم يأخذ من بصرك شيئا، والمليح بخلاف ذلك.

واعلم أن أحسن الحسن ما لم يجلب بتزيين وتحسين، بل يكون ذاتيا بكمال أوصاف الذات من أصل خلقتها إلا بزينه حادثة، قال امرؤ القيس^(٢)

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٠، ومصارع العشاق ٢٣٥.

(٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (١٣٠ - ٨٠ قه): أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يمني الأصل، مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن، اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده إلى دمون بحضرموت، موطن آبائه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره، فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويظرب ويفزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا! اليوم خمر وغدا أمر! ونهض من غده فلم يزل حتى ثار لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعرا كثيرا، وكانت حكومة فارس ساحطة على بني آكل المرار (آباء امرئ القيس) فأوعزت إلى المنذر (ملك العراق) بطلب امرئ =

(شطر بيت)^(١) : [الطويل]

وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

قيل لصوفي : لم تصفر الشمس عند الغروب ؟

فقال : حزن الفراق أورثها ذلك^(٢) .

وقد قال رجل لسيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام : إني أحبك .

فقال : ما رأيت في الحب خيرا ؛ أحبني أبي فألقيت في الحب ، وأحبتني

امرأة العزيز فألقيت في السجن .

ثم قال له : عافني من ذلك عافاك الله^(٣) .

تنبيه :

قسم بعضهم الشمائل فقال :

= القيس ، فطلبه ، فابتعد ، وتفرق عنه أنصاره ، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل ، فأجاره ، فمكث عنده مدة ، ثم رأى أن يستعين بالروم على الفرس ، فقصده الحارث بن أبي شمر الغساني (والي بادية الشام) فسيره هذا إلى قيصر الروم يوستينيانس في القسطنطينية ، فوعده ومطله ، ثم ولاه إمرة فلسطين (البادية) ولقبه فيلارق أي الوالي ، فرحل يريداه ، فلما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح ، فأقام إلى أن مات في أنقرة . انظر : الأعلام ١١/٢ ، ١٢ ، الأغاني طبعة دار الكتب ٩ : ٧٧ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ١٠٤ وشرح شواهد المغني ٦ وجمهرة ٣٩ والزوزني ٢ وابن قتيبة في الشعر والشعراء ٣١ وخزانة البغدادي ١ : ١٦٠ ثم ٣ : ٦٠٩ - ٦١٢ والذريعة ٢ : ٣٤٩ .

(١) عجز بيت ، وصدرة :

ألم ترياني لكما جئت طارقا

انظر : ديوانه ١٠٥ .

(٢) محاضرات الأدباء ١٢٢/٢ .

(٣) الكشكول ٢٩/٢ .

* الصبابة في الوجه .

* والوضاءة في البشرة .

* والجمال في الأنف .

* والحلاوة في العينين .

* والملاحة في الفم .

* والظرف في اللسان .

* والرشاقة في القد .

* والليانة في الشمائل .

* والبداعة في المحاسن .

* والمدقة في الأطراف .

* وكمال الحسن في الشعر^(١) .

وليعلم أن أشد الناس عشقا وغراما ، وأقواهم وجدا وهياما ، وأغرقهم في المحبة سكرًا ، وأشهرهم في الهوى ذكرا هم بنو عذرة .

قال سعيد بن عقبة الهمداني : لقيت أعرابيا فقلت له : ممن أنت ؟

قال : من قوم إذا عشقوا ماتوا .

قلت : هل أنت عذري ؟

قال : نعم .

فسألته وقلت له : لم ذلك ؟

فقال : لأن في نساتنا صبابة وفي رجالنا عفة^(٢) .

(١) عيون الأخبار ٢ / ٤١ .

(٢) مصارع العشاق ٣٠١ ، وديوان الصبابة ١٥٤ .

قال العلامة الشريشي^(١) في شرح المقامات : اعلم أن بني عذرة قبيلة معروفة يستلذون مرارة العشق مثل الضرب ، جبلت المحبة في طينتهم ، وصار الهوى وصفهم الذي لا ينفك ورهن قلوبهم ، تتمكن منهم حرارة العشق ؛ فمنهم من يموت من غرامه ، ومنهم من يموت بهيام سقامه ، ولذا سئل أعرابي منهم فقيل له : ما حد العشق عندكم ؟

فقال : أعين تتلاحظ ، وألسن تتلافظ ، وعدة تُقضى ، وإشارات تدل على السخط والرضا . انتهى .

واعلم أن في حد المحبة والعشق كلاما كثيرا ؛ فقيل : هو الميل الدائم بالقلب الهائم .

وقيل : هي قيامك لمحبتك بكل ما يحبه منك .

وقيل لبزرجمهر : متى يكون الإنسان بليغا ؟

فقال : إذا صنف كتابا ، أو وصف هوى ، أو أحب جميلا .

وكان بزرجمهر وزيرا لكسرى ، وكان أزكى وزرائه وأشدهم فطنة وأعلمهم بأمور المملكة ، وخامر الأمور المشكلة ، واقتحم المشاق المهلكة .

وقد قال العباس بن الأحنف^(٢) : [الطويل]

وما الناس إلا العاشقون أولو الهوى ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال آخر^(٣) : [الطويل]

(١) أحمد بن عبد المؤمن بن موسى ، أبو العباس القيسي الشريشي (٥٥٧ - ٦١٩هـ) : من العلماء بالأدب والأخبار ، نسبته إلى شريش بالأندلس ، ومولده ووفاته فيها ، كان يقرأ بها العربية وعلوم الأدب . انظر : الأعلام ١/١٦٤ ، نفح الطيب ١ : ٣٨٢ .

(٢) انظر : ديوانه ١٠٩ .

(٣) ديوان الصباية ٥٠ .

ولا خير في الدنيا بغير صباية ولا في نعيم ليس فيه حبيب
ولنذكر من فضائل العشق المحموده، وخصاله المسعوده اللطيفة على
الحقيقة، بل الشريفة الشريفة بعضا ينشرح له البال ويطيب به اللبال .

قال بعض العلماء : العشق له فضيلة تنتج الحيلة، وتشجع الجبان، وتقوي
الجنان، وتسخي كف البخيل، وتشفي السقيم العليل، وتصفي ذهن الغبي،
وينطق له اللسان بالشعر، وهو أساس داعية الأدب، وأول باب تنتفق به الأذهان
والفطن، وتستخرج به دقائق المكائد والحيل، وإليه تستريح الهمم، وتسكن
نوافر الأخلاق والشيم، ويتمتع به الجليس ويؤانس الأليف، وله سرور، ويجول
في النفوس، وفرح يسكن في القلوب، وكلام العشاق مع مناديمهم يزيد في
ذكاء العقول، وتحريك النفوس، وطرب الأرواح، وجلب الأفراح، ويتشوق
الملوك إلى سماع أخبار العاشقين، وكذلك الشجعان والأبطال، وعندهم أنه
يعشق ويذكر بالعشق ويشهر به فيذكر في المجالس عند الخلفاء والملوك، ومن
دونهم خير له من أن يذكر ويشهر بغير ذلك، بل هذا عندهم من أشرف
الأوصاف وأدعى للإنصاف، فأخبار العاشقين تدور وتروى أشعارهم وهي
أحرى وأجدر بما ذكر شعارهم، ويبقى العشق للواحد منهم ذكرا مخلدا في
الغابرين ونشرا يذكر به في الآخرين، ولولا العشق لم يذكر له اسم ولا جرى له
رسم^(١).

قيل لبعض العلماء: إن ابنك قد عشق .

فقال : الحمد لله الآن رقت حواشيه، ولطفت معانيه، وملحت إشاراته،
وظرفت حركاته، وحسنت عباراته، وجادت رسائله .

(١) تزيين الأسواق ٣٨ .

ولما كان الجمال - من حيث هو - محبوبا للنفوس معظما في القلوب ، لم يبعث الله تعالى نبيا إلا جميل الوجه ، كريم الحسب ، حسن الصوت ، كما قال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وقد سئل أكان : وجه رسول الله ﷺ مثل السيف ؟

قال : لا بل مثل القمر .

وفي صفته ﷺ : كأن الشمس تجري في وجهه ، فكان ﷺ كما قال شاعره حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه^(١) : [الطويل]

متى بيد في الليل البهيم جبينه يلخ مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو من ذا يكون كأحمد نظام لحق أو نكال لمعتدي
وقال آخر^(٢) :

وأجمل منك لم تر قط عيني وأحسن منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

وفي هذا القدر كفاية لهذا الباب ؛ إذ يزول بما ذكر ما يستولي على العقل من الارتباب ، ومن هنا قد لاح لي أن أذكر طرفا يسيرا من الأغزال الفائقة والأشعار الرائقة فقلت :

* * *

(١) ديوانه ص ٣٨٠ .

(٢) البيان ينسبان لحسان في المستطرف في كل فن مستظرف ١/٢٣١ ، ٢٥٦ .

الباب الثامن عشر

في ذكر طرف يسير من الأغزال الفائقة والأشعار الرائقة
ونذكر فيه من محاسن الحبيب ما يطرب سماعه
ويصعد لطالع الحسن ارتفاعه

واعلم أن أغزل بيت قالته العرب قول بشار^(١): [الخفيف]

أنا والله أشتهي سحر عيني ك وأخشي مصارع العشاق^(٢)
وما أحسن قول بعضهم^(٣): [مجزوء الرمل]

ومليح قال صفني أنت في القول فصيح
قلت قولاً باختصار كل ما فيك مليح
وقال إبراهيم المعمار: [مجزوء الرمل]

ومليح قال صفني وهو قد زاد سرورا
كم حوى جفني معنى قلت ألفا وكسورا

(١) بشار بن برد العقيلي، بالولاء، أبو معاذ (٩٥ - ١٦٧هـ): أشعر المولدين على الإطلاق، أصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة عقيلية قيل إنها أعتقتة من الرق، وكان ضرباً، نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى، قال الجاحظ: (كان شاعراً راجزاً، سجاعاً خطيباً، صاحب منشور ومزدوج، وله رسائل معروفة). واتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط، ودفن بالبصرة، وكانت عادته إذا أراد أن ينشد أو يتكلم، أن يتفل عن يمينه وشماله ويصفق بإحدى يديه على الأخرى ثم يقول، وأخباره كثيرة. انظر: الأعلام ٥٢/٢، وفيات الأعيان ١: ٨٨ ومعاهد التنصيص ١: ٢٨٩ وتاريخ بغداد ٧: ١١٢ والشعر والشعراء ٢٩١ وأمالي المرتضى ١: ٩٦ - ٩٨ وخزانة البغدادي ١: ٥٤١.

(٢) ديوانه ٤/١١٧.

(٣) ديوان الصباية ٤١٩.

وقال الآخر^(١) : [مجزوء الرمل]

ومليح قلت ما الاسـ قلت صف لي وجهك الزا
قال كالبدر وكالغصـ وقال الآخر^(٢) : [الدوييت]

أهوى رشأ رُشيق لقد خُلي قلت له خذروحي قال واعجبي
وقال الآخر^(٣) : [المتقارب]

أقول وكفي على خصرها أخذت عليك عهد الهوى
وقال الصلاح الصفدي^(٤) : [مخلع البسيط]

بسهم الحاظه رماني إن مت ما لي سواء خصم
ولا يخفى ما في هذا من التورية التي هي أرق من نسيمات الأسحار وأحلى
عند الشباب من افتضاض الأبكار.

وقال آخر : [الطويل]

فلو كان للعشاق في الحب حاكم وأثبت في شرع المحبة حجة
أتيت إليه واشتكيت مطاله عليه بأني أستحق وصاله

(١) الأبيات لإبراهيم بن عبد الله الصواني ، انظر : الوافي بالوفيات ٢/ ٢١١ ، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥ .
(٢) دوييت لعمر بن الفارض في ديوانه ص ١١٣ .
(٣) البيتان للسراج الوراق في فوات الوفيات ٣/ ١٤٦ .
(٤) انظر : الدرر الكامنة ١/ ٢١٥ ، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٩٢ ، تزيين الأسواق ص ١٧٦ .

وقال الآخر: [البيسط]
يا من إذا ما تبدى يخجل القمر
بكيت يا سيدي مذ غبت عن نظري
وقال ابن رشيقي^(١): [السريع]
معتدل القامة والقدر
قل للذي يعجب من حسنه
وقال أيضا^(٢): [السريع]
شكوت بالحب إلى ظالمي
قلت غرام ثابت قال لي
وقال يحيى الحجاز^(٣):
طلبت منه قبلة قال لي
البوس شاليش وقد أختشي
وقال السراج الوراق^(٤):
قال من شبه ريقني
إنما ريقني شبيهه
وقال الآخر^(٥): [الكامل]
أرأيت من يرضى الفراق لإلفه
رفقا فما لفؤادي عنك مصطبر
حتى بكى رحمة من أجلي المطر
مورد الوجنة والخذ
اقرأ عليه سورة الحمد
فقال لي مستهزئا ما هو
اقرأ عليه قل هو الله
إياك أن تطمع في القرب
أن يتبع الشاليش بالقلب
بالزلال العذب زلا
قلت ذا من فيك أحلى
أنا قد رضيت لنا بأن نتفرقا

(١) ديوانه ٢٨٨، وانظر: ديوان الصباية ص ٨١.

(٢) ديوانه ٣٢٢، وانظر: ديوان الصباية ص ٨١.

(٣) ديوان الصباية ص ٨١.

(٤) ديوان الصباية ص ٨١.

(٥) سلك الدرر ٤/٢١٤.

حتى أفوز بقبلة في خده
وقال آخر: [الكامل]

عند الوداع ومثلها عند اللقاء

وغزالة وعدت تزور محبتها
فأجبتها مستبشرا بوصولها
وقلنا نحن:

نادمتني ضحى وكان عليها
فتوهمت أن مجلس أنسي
وقلنا أيضا: [البيسط]

حلة تشبه السماء صفاء
زاد فيه لنا السماء ضياء

منجم الحسن لما أن رأى قمري
وقال دائرة الخصر النحيل به
وقلنا أيضا: [الطويل]

ألا إن أنسي وابتهاج أحبتي
وظني لأنسى حيث بان منغص
وقال الآخر:

وهي من جرة الغرام تذوب
واسمه في فؤاده مكتوب

كيف تبقى للعاشقين قلوب
كيف ينسى المحب ذكر حبيب
وقال الآخر^(١): [الكامل]

مهلا فإن مدامعي تطفية
واحرص على قلبي لأنك فيه

يا محرقا بالنار وجه محبه
أحرق بها جسدي وكل جوارحي
وقال الآخر: [الكامل]

يا من محاسنه كبدر يشرق
حكم الزمان بأنني لك عاشق

(١) تزيين الأسواق ٢٦٨.

حزت الفصاحة والملاحة كلها
ولقد رضيت بأن تكون معذبي
وعليك من رب البرية رونق
فعمى علي بنظرة تتصدق
لا خير فيمن لا يحب ويعشق
وقال الملك الأمجد^(١):

من مثلي في عصري
معشوقي مملوكي
بستاني في قصري
غنى لي من شعري^(٢)
وقال الآخر^(٣): [الوافر]

شفاء الحب تقبيل وشم
ورهب تذرّف العينان منه
ووضع للبطون على البطون
وأخذ بالمناكب والقرون
وقال التقي العيدروس^(٤): [مجزوء الكامل]

قالت وقد ودعتها
أفارق الوجه الذي
والدمع مني كالمطر
حاكاه إشراق القمر

(١) بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٦٢٨هـ): شاعر، من ملوك الدولة الأيوبية، كان صاحب بعلبك، تملكها بعد والده تسعا وأربعين سنة وأخرجه منها الملك الأشرف سنة ٦٢٧ هـ فسكن دمشق وقتله مملوك له، بسبب دواة ثمينة سرقها المملوك وحبسه الأمجد في قصره، واحتال المملوك فخرج وأخذ سيف الأمجد وهو يلعب بالشطرنج أو بالنرد قطعته في خاصرته، وهرب فألقى نفسه عن سطح الدار، وقيل: لحقه المماليك فقتلوه. ودفن الأمجد بترية أبيه. وقال أبو الفداء: هو أشعر بني أيوب. انظر: الأعلام ٧٦/٢، وفيات ٦٢٨ وشذرات الذهب ٥: ١٢٦ وترويح القلوب ٤٩ وأبو الفداء ٣: ١٤٥ - ٤٦.

(٢) ديوان الصباية ص ٢٠.

(٣) البيتان لأم الضحاك الحاربية، انظر: اللآلي في شرح أمالي القالي ٦٩٢/٢.

(٤) عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس الحسيني (١١٣٥ - ١١٩٢هـ): فاضل، من أهل حضرموت، ولد بها في (تريم) وتوفي بمصر، له: لطائف الجود في مسألة وحدة الوجود، وتنسيق الأسفار؛ جمع فيه ما جرى له مع بعض الأدباء في أسفاره، وتنسيق السفر؛ فيما جرى عليه وله بمصر. انظر: الأعلام ٣/٣٣٨، سلك الدرر ٢: ٣٢٨ وخطط مبارك ٥: ١١ وتاريخ الشعراء الحضرميين ٢: ١٨٩ وثبت ابن عابدين ٤٧ والحجرتي ٢: ٢٧ - ٣٤.

فأجبتها بتلهف
 ما حيلتني ستي إذا
 وله أيضا^(١) : [مجزوء الكامل]

وأسف أبكى الحجر
 نزل القضا عمي البصر^(٢)

أنا مفرم بمليحة
 وعذول قلبي فاسد
 وقال الآخر^(٣) : [مجزوء الرمل]

من بيت شعري واضح
 أبدا وروحي صالحه

يا غزالا لي إليه
 أنا ضيف وجزاء الـ
 وقيل في اسم مغنية ظريفة اسمها بلة : [الوافر]

شافع من مقلتيه
 ضيف إحسان إليه

بكت عين السهاد وفرط وجدي
 فقلت وقد ضنى التبريح جسمي
 وقال الآخر^(٤) : [الكامل المرفل]

لمن أهوى وقد ظهرت أدله
 وكيف أنام حيث عشقت بله

مني الوصال ومنكم الهجر
 والله لا أسلوكمو أبدا
 وقال الآخر^(٥) : [السريع]

عشرا وما زاد يكون احتساب
 غلظت في العد وضاع الحساب

سألتها التقبيل من خدها
 فمذ تلاقينا وقبلتها

(١) انظر : ديوانه ٣٩.

(٢) انظر : ديوانه ١٠٥.

(٣) البيتان لإبراهيم بن المهدي، انظر : الأغاني ١١٥/٣، المستطرف ٣٥١/٢، التذكرة الحمدونية

٣٢/٣، المجلس الصالح ص ٣٥١.

(٤) العقد الفريد ٢١٤/٣.

(٥) المستطرف ٩٠/٢.

خاتمة الباب وتحفة لذوي الآداب

أقول : ومن الاقتباسات الشعرية من القرآن العظيم الدالة على رفعة القدر بين البرية والجاه الفخيم قول العلامة الأديب السيد محمد أمين الزللي المدني^(١) قدس سره^(٢) : [السريع]

يا معشر العشاق أوصيكم حقا وإني من الناصحين
والنصح في نصحي لكم فاسمعوا وصية العاني حليف الأنين
لا توقعوا أنفسكم في الهوى فهو هوان وعذاب مهين
فامتثلوا الأمر وعنه انتهوا إني لكم منه نذير مبين
فما أرق هذا الاقتباس فوالله لقد وقع للنفوس موقع الإيناس .

وقال علي أفندي الدرويش^(٣) صاحب ديوان الإشعار^(٤) : [الوافر]

طبول الرعد قد دقت وزفت عروس البرق في كلل الغيوم
ونقطنا السحاب بدر غيث فرقص الغصن من زمر النسيم

(١) محمد أمين بن خبيب بن أبي بكر بن خضر الزللي المدني الخطيب (ت ١٢٤١هـ) : أديب ، له نظم كثير حسن ، واشتغال بالتاريخ ، من أهل المدينة ، صنف كتاب (طبقات الفقهاء والعباد والزهاد) . انظر : الأعلام ٤٢/٦ ، حلية البشر ٣ : ١١٩٥ - ١٢٠١ .

(٢) حلية البشر ٣/١١٩٦ .

(٣) علي بن حسن بن إبراهيم الأنكوري المصري ، المعروف بالدرويش (١٢١١ - ١٢٧٠هـ) : شاعر ، أديب ، مولده ووفاته في القاهرة ، اتصل بالخدوي عباس الأول ، فكان شاعره ، ولم يكن يتكسب بالشعر ، مكتفيا بما له من مال وعقار ، له ديوان شعر سمي (الإشعار بحميد الأشعار) ، (والدرج والدرك) في مدح خيار عصره وذم شرارهم ، و(رحلة) ، وكتاب في الخيل ، و(سفينه) في الأدب . انظر : الأعلام ٤/٢٧٥ .

(٤) ديوان علي الدرويش ١٨٨ .

وسرت بعاذلي مسري الهوى بي وكيف يجوز في ليل بهيم
فيا نار الحشا كوني سلاما على ابراهيم لا نار الجحيم
وقال الآخر:

جاءني الحب زائرا وعلى مهجتي عطف
قلت جد لي بقبلة قال خذها ولا تخف
ولا بن الوردى^(١):

زار الحبيب بليل وفزت منه بأنسي
وبات وهو ضجيمي وما أبرئ نفسي^(٢)
ولا بن عفيف الدين التلمساني^(٣): [مجزوء الرمل]

(١) ابن الوردى (٦٩١ - ١٢٩٢/٥٧٤٩ - ١٣٤٩م) هو: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردى المعري الكندي: شاعر، أديب، مؤرخ. ولد في معرة النعمان (بسورية) وولي القضاء بمنيح، وتوفي بحلب. من كتبه "ديوان شعر" فيه بعض نظمه ونثره، و"تتمة المختصر" تاريخ، مجلدان، يعرف بتاريخ ابن الوردى، جعله ذيلًا لتاريخ أبي الفداء وخلصه له، و"تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة" نثر فيه ألفية ابن مالك في النحو، و"الشهاب الثاقب" تصوف، و"اللباب في الإعراب" نحو، و"شرح ألفية ابن مالك" نحو، و"شرح ألفية ابن معطي" نحو، و"ألفية" في تعبير الأحلام، و"تذكرة الغريب" منظومة في النحو، و"مقامات - ط" أدب، و"منطق الطير" منظومة في التصوف، و"بهجة الخاوي - ط" نظم بها الخاوي الصغير في فقه الشافعية. وتنسب إليه "اللامية" التي أولها:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل

ولم تكن في ديوانه، فأضيفت إلى المطبوع منه. وكانت بينه وبين صلاح الدين الصفدي مناقضات شعرية لطيفة وردت في مخطوطة ألحان السواجم.

ترجمته في: فوات الوفيات ١١٦/٢، وبغية الوعاة ٣٦٥، والنجوم الزاهرة ٢٤٠/١٠، والأعلام ٦٧/٥.

(٢) الكشكول ١٨/٢.

(٣) ديوان الشاب الظريف ٢٦.

أهيف كالبدري يصل في قلوب الناس نارا
 يمزج الخمر بفيه فتري الناس سكارى
 وقال الصلاح الصفدي^(١): [مجزوء الرمل]

رب فلاح مليح قال يا أهل الفتوة
 كفلي أضعف خصري فأعينوني بقوة
 ولأبي نواس^(٢):

كسر الجرة عمدا وسقى الأرض شرابا
 صحت والإسلام ديني ليتني كنت ترابا
 وقال الصلاح الصفدي^(٣): [مجزوء الرجز]

يا عاشقين حاذروا مبتسما عن ثغره
 فطرفه الساحر إن شكتمو في أمره
 يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره
 وقال آخر: [الوافر]

رأيت العشق حوشيتم عيونا
 ألا يا معشر العشاق توبوا
 فقد أنذرتكم نارا تلظى
 وقال آخر^(٤):

رجوت طيف خيال وكيف لي بهجوع
 والذاريات جنوني والمرسلات دموعي

(١) ورد البيتان في ديوان ابن الوردي ٢١٨.

(٢) الكشكول ١/١٨٨.

(٣) الأبيات لابن عفيف التلمساني، انظر: معاهد التنصيص ص ٤١١، ديوان الصباية ص ٢٨.

(٤) المستطرف ١/١٢١.

وقال آخر^(١) : [السريع]

نديمتي جارية ساقيه ونزهتي ساقية جاريه
جارية أعينها جنه وجنة أعينها جاريه
وقال آخر : [الكامل]

يا من أسا فيما مضى ثم اعترف كن محسنا فيما بقى تعطى الشرف
واصغى لقول الله في تنزيله إن يتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وقال آخر :

إن في القرآن آيه حبها للقلب طب
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبوا
وقال الآخر^(٢) : [الهجج]

لئن أخطأت في مدحـ لك قد أخطأت في منعي
لقد أنزلت حاجاتي بواد غير ذي زرع
وقال غيره : [الطويل]

شربت وعفو الله من كل جانب وأحييت أنفاسي بمرتشف الكاس
ولا غزني فيها وأعرف اسمها سوى قوله فيها منافع للناس
وقال غيره :

دع المساجد للعباد تسكنها وطف بنا نحو خمار فيسقيننا
ما قال ربك ويل للألى سكروا بل قال ربك ويل للمصلينا

(١) البيتان لأبي القاسم الوزير المغربي . انظر : ديوانه ٢٠٦ .

(٢) ينسب البيتان لابن الرومي في زهر الأكم ص ١٥٦ ، الإيضاح في علوم البلاغة ص ٣٨٣ ،
ونسبان لإسماعيل القراطيسي في عيون الأخبار ص ٣٢٨ ، ربيع الأبرار ص ٢٤٦ ، التذكرة
الحمودية ٤٩٨ / ٢ .

وقال آخر: [مجزوء الكامل]

واحسرتي وا شقوتي
 واطول حزني إن أكن
 وإذا سئلت عن الخطا
 واحر قلبي أن يكو
 كلا ولا قدمت لي
 بل إنني لشقاوتي
 بادرت بالزلات في
 من ليس يخفى عنه من
 أستغفر الله العظيم
 فعمسى الإله يجود لي
 وقال آخر من بحر المواليا^(١):

إن كنت عاقل وربك بالتقى برك
 وإن تعدى حسودك والحسد ضرك
 وقال آخر من بحره: [المواليا]

إن ردت تسلم بطول الدهر ما تبرح
 واستعمل الصبر لا تحزن ولا تفرح
 وقال الآخر: [الكامل]

نالوا بذلك فرحة وسرورا
 قوم أقاموا للإله نفوسهم
 تركوا النعيم وطلقوا لذاتهم

(١) المستطرف ١/١١٧.

قاموا يناجون المجيب بأدمع	تجري فتحكي لؤلؤا منشورا
ستروا وجههم بأستار الدجى	ليلا فأضحت في النهار بدورا
عملوا بما علموا وجادوا بالذي	وجدوا فأصبح حظهم موفورا
وإذا بدا ليل سمعت أنينهم	وشهدت وجدا منهمو وزفيرا
تعبوا قليلا في رضا محبوبهم	فأراحهم يوم المعاد كثيرا
صبروا على بلواهمو فجزاهمو	يوم القيامة جنة وحريرا

وهذا باب يقال: إنه بحر لا ساحل له؛ حيث إنه شحنت به كثير من الدفاتر، وفنيت منه وفيات المحابر، ولو أردنا الزيادة لخرجنا عن حد العادة، ولكن روم الاختصار دعا إلى الاختصار، فما ذكر كاف في المراد، والله ولي التوفيق والسداد، ومن ركن إلى غيره سبحانه جزما يكاد، إذ هو وحده الذي عليه الاعتماد، وإليه جل وعلا مسير العباد.

* * *

الباب التاسع عشر

في ذكر حكايات الملافيق وما فيها من المباشطة
على سبيل النزاهة والخلاعة والتجمل بالمغالطة

قال ابن عراش : كان لي جار ، وكنت لا أراه إلا نائما ، وكلما لمته في ذلك
أعرض عني وقال : رح يا خِلِّي وَخَلِّ لا تلم مثلي أبدا ، فخلني أنا لعل ما قد
فاتني يرجع إلي .

فقلت له : يا أخي وما الذي فاتك ؟

فقال : يا هذا إلا تحرك ساكنا .

فقلت أنا : ومن شطح ونطح وشاهد زينه النخيل بالبلح ، لا أدعك إلا أن
تخبرني بحالك وتكشف القناع عن وجه ذلك .

فتنفس الصعدا وبكى حتى قلت : لا يسكت أبدا .

ثم قال : اعلم أنني نمت ليلة ، فرأيت الجوع قد سلط علي وأنا أستغيث ، فلا
أغاث ، فجعلت أطوف الأزقة ألتمس ما آكله ، وإذا برجل ينادي : ألا لا
يتخلفن أحد عن الوليمة غريبا كان أو قريبا .

فوجدت الناس يهرعون إليه من كل جانب ومكان ، فمشيت في جملة من
مشى وأنا لا أصدق من الفرح الذي قام بي لأجل ذلك لإزالة ما عندي من
الجوع الذي برح بي حتى دخلنا إلى دار لا يرى مثلها في اليقظة أبدا ، قد بنيت
بالحكمة ، وتلك الدار جامعة لأنواع اللطائف ؛ لبنة من فطور ولبنة من قطايف ،
وسقوفها من الممشك وشباييكها من المشبك ، بياضها من لطاخ المنفوش ،
طرازها بأنواع العقائد منقوش ، تربتها من العلاليق ، لها من حبال الشوق
بالقلوب تعاليق ، فيها شاذروان من السكر فطر النبات عليه يتكسر ، وكلما بكى

بالقطر فواره تضاحكت بالسرور أطياره ، فتفرق الناس في نواحيها يتعجبون من
حكمة بانيها ، وأنا من الجوع في شغل شاغل لا يلتفت قلبي إلى غير المآكل ،
وإذا بالموائد ارتفعت ، وأنجزت المآكل ووضعت ، ونصب الخوان وجزمت بالشبع
عموم الإخوان ، ورأيت من الأطعمة ما تمنيت من بهجته لو أنني أكلته بجملته ،
فاختطفت دجاجة ، ونزعت فخذها ، وأردت أن أضعها في فمي ، فاستيقظت
من منامي ولم أجد شيئا أمامي ، فأنا دائما لا أزال أنام حتى أدرك ما فاتني في
هذا المنام ، فقلت : إنك معذور فمن كان هذا منامه فليست عليه في النوم
ملامة .

* * *

[حكاية أخرى]

وحكي أنه نقل عن ابن أعشب المنسوبي العبردي، أنه قال : من صلى
العشاء الأخيرة في جماعة، ومكث بعدها مائة وعشرين درجة، ثم أكل
خمسمائة بيضة بلا ملح، ونصف قنطار من نبيذة الصعيد، وسبعة أقداح من
أقماع الجميز مبتلة في طحينة، فإنه لا يرى جوعاً بقية ليلته؛ فإن عاش على
السحر لم يأمن من الأمراض المختلفة، وكان من حصول العافية في أمان.
أنتهى.

* * *

حكاية أخرى

قال ابن دعوشة الفررداري : كان رجل في الأمم السالفة قد عمر دهرًا طويلًا وجمع مالا جزيلا ، فهتف به هاتف وهو يناديه باسمه واسم أمه وقال : يا هذا ، إن الأجل قد صار قريبا ، فاجعل للفقراء من مالك نصيبا .

عند ذلك دهش عقله مما سمع وكاد فؤاده أن ينخلع ، ثم سقط مغشيا عليه ، فلما أفاق أمر بإحضار أمواله ، فأتوه بصندوق وأفرغوه بين يديه فيه مائة وعشرون جرابا في كل جراب ألف مثقال من الذهب ، ثم أمر بجمع الحلوانية ، فاجتمع عنده ما يزيد عن ألف صانع ، فسلم المال إلى كبيرهم وأمره أن يصنع به قطايف محشوة ، فاشترى ما يحتاج إليه من أحسن السكر وأحسن الفستق الأخضر ، ومن المسك وأنواع البخور ، ثم رتب الصناعات في العمل ، فلما تكامل ذلك أمرهم بحمله إلى الجنيحة ، فحمل بين يديه وصارت الحرافيش المسماة بالحشاشة تساق إليه ، وصار يفرق ذلك عليهم بالأراطيل ، ويناول كلا من السادة المصاطيل ، ويخص بالزيادة من قل لسانه واشتبهت عليه إخوانه وعجز عن الكلام وصارت اليقظة في حقه كالمنام .

ثم رجع إلى منزله بعد العشاء ونام ، فلما استيقظ قال : بينما أنا نائم هذه الليلة رأيت كأنني في قصر من العقيد شبايكه من البانيد ، تحتي سرير من السكر ، وقوامه من القصب المبخر ، وبين يدي نهر من العسل وأشجار الموز في جنباته ، فإذا هبت الريح يتساقط عن يميني وعن شمالي ، وسمعت قائلا يقول : يا صاحب القطايف المحشوة ، هذا جزاء ما أطعمت إخوانك الحشاشية ، ثم أنشد يقول :

أيا من بجمع المال شتت عمره أتفعل ذا والموت ما زال طائفا
فأطعم به أهل الحشيش قطائفا ونم تر مثلي في المنام لطائفا
ثم صار كلما جمع من المال شيئا فعل به كذلك ، وأنشد هذين البيتين إلى أن مات ؛ انظر يا أخي هذا التغفيل ، فإنه والله أمر وييل .

حكاية أخرى

قال شحمية الجزمي العجرجري^(١) : مررت في بعض الأسفار بالجزيرة الوسطى ، وإذا برجل قد توحد في ربوة ، كلما أراد أن يخلص منها لا يزداد إلا توحدًا ، وكان يوما شاتيا ، فنزلتُ إليه لمعاونته حتى خلص ، ثم نزع ما كان عليه وألبسته شيئا من ثيابي وأطعمته من طعامي ما كفاه ، ثم قلت : يا هذا ، ما الذي دهاك ، ومن في هذه الربوة قد رماك ؟

فقال : لم يكن أحد رمانى ، ولكنى أعلمك بخبري ؛ إنني رجل كثير السياحة أجوب البلدان ألتمس دعاء الصالحين من الإخوان ، وكنت الليلة نائما بالجامع الأزهر والمحفل الفخيم الأنور ، وكان إلى جانبي رجل يصلي طول ليلته ، فلما قرب الفجر ترك سجادته وذهب ليجدد له وضوءا ، فقلت في بالي : لا شك أن هذا الرجل من الأولياء ، والرأي عندي أن أسرق سجادته وأبيعها وأكل بئمنها التماسا لبركته ، وخبأتها فرجع الرجل لم يجدها ، فسألني عنها ، فحلفت له سبعا وثلاثين يمينا أنني ما أخذتها ولا عرفت من أخذها ، فصلى ركعتين ، ثم رفع يديه وجعل يدعو وأنا أقول : آمين . حتى أقيمت الصلاة فصلينا مع الجماعة ، ثم أخذتها وخرجت من الجامع حتى انتهيت إلى السوق وقد بعثتها بخمسة دراهم ، ثم مضيت حتى انتهيت إلى الموضع المعروف بالجنينة ، وإذا برجل قد ازدحم الناس عليه حتى صار يركب بعضهم بعضا ، فقلت : لم أر مثل هذا الجمع لا يكون سدى ، وقد اشتهر في المثل القديم من الكلام أن : المنهل العذب كثير الزحام . فسألت بعض الناس عنه فقال : هذا رجل يبيع البهار^(٢) .

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) البهار : جنس زهر من المركبات الأنبوية الزهر ، طيب الريح ، ينبت أيام الربيع ويقال له : العرار .

الوسيط (ب ه ر) .

قلت : وأي شيء يكون البهار ؟

قال : هو شيء يزيد الأفراح ، ويزيل الأتراح ، من أكل ما يكفيه منه وجلس ساعة سارت به الأفكار في أودية الأسرار حتى يرى وهو في مكانه سائر الأقطار .

فقلت : لعمرى إن صح هذا الخبر فقد استرحت من السياحة بالسفر . ثم تقدمت إليه ودفعت له الخمسة دراهم ثمن السجادة .

فقال : وما تصنع بهذه الخمسة دراهم ؟

فظننت أنه استقلها ، فقلت : إني لا أملك غيرها فأعطني بها ما تيسر .

فقال : إن الرجل يكفيه بدرهم في خمسة أيام .

قلت : أنا لا يكفيني في يوم إلا بخمسة دراهم .

فقهره ملء فيه ، وقال : صاحب البيت أدرى بما فيه ، ثم دفع إلي ما يساوي الخمسة دراهم ، فأكلته وأتيت إلى هذا الموضع ، وكان ذلك إما قبل العشاء أو بعدها ، ثم جلست ساعة أنظر الماء ، فرأيت شكل السماء يلوح في صفحاته ، ورأيت خيالات الأشجار منكوسة في ساحاته ، فحصل عندي من ذلك رافة ، فقلت : لعمرى إني لم أزل أسمع وأرى أن السماء تعلق على الرعوس ، وأن الشجر لا يستقر منها شيء وهو منكوس ، ولا شك أن القيامة قد قامت ، فقمت من الدهش لأنظر ما الخبر ، وأردت أن أمشي إلى قدام فمشيت إلى ورا ، وسقطت في هذه الربوة كما ترى .

فلما سمعت ذلك قمت إليه مغضبا ، فنزعت ما ألبسته من الثياب ، ونشرت عليه الضرب ، وطويت عنه النقاب ، ونأسفت على ما أكله من الزوادة ، وعلمت أن ما أصابه بدعاء صاحب السجادة ، ثم سرت مترجلا قائلا : لا حول ولا قوة إلا بالله .

حكاية أخرى

قال ابن دهشمة المشرقي العباكلي^(١) : إنه كان بيلاذنا ملك قبل الطوفان قد عمر خمسمائة وعشرين سنة ، وكان من أعلم أهل زمانه بالحكمة ، فلما مات تولى بعده ولده ، فأمر بعرض الخزائن عليه ، فرأى فيها صندوقا من الزجاج الأحمر فيه كيس من الحرير الأخضر ، وفي الكيس لوح من الياقوت مكتوب فيه بالذهب : اعلم أيها الإنسان المخصوص بالعقل والبيان أن من الحكمة التي شهد بصحتها العقل والنقل :

- * أن من كان جائعا وأكل ما يكفيه شبع .
- * وإن أحدث ولم يكن به صمم سمع .
- * ومن طرح ثيابه في النار احترقت .
- * ومن ألقى الحجارة في الماء غرقت .
- * ومن جرحت إبهام رجله اليمنى ، فإنه يأكل بأسنانه .
- * ومن ستر عينيه فإنه لا يرى بحاجبيه ولو من كان جالسا بجانبه .
- * ومن أنكر من ذلك شيئا لم يكن حكيما .

* * *

(١) لم أعثر له على ترجمة ، ولعل هذه الأسماء تخيلية .

حكاية أخرى

قال ابن هاقد العجلى العكرمبلى : مررت يوما بالبهطلة ، وإذا برجل قد ازدحم الناس عليه وهو يقول : أيها الناس ، رحمكم الله اعلموا أن الماضي هو ما قد فات ، وأن المستقبل ما هو آت ، ذهب ناس وبقي ناس ، وقد صح عند العقلاء ممن بقي وذهب أن الفضة لا تشابه الذهب ، وأن الحوت من السمك ولو مسك بالشبك ، ومن عرف العلم بتحقيقه وانعجت فكرته بدقيقه ، علم أن خيوط الكنافة لا تفتل ، وأن الزلاية من القطايف أطول ، ألا وإنكم الساعة هذه فى البهطلة ، وبين أياديكم روضة عن الأشغال معطلة ، أغصانها بالغة مورقة ، أهذاب النخيل بأطرافها مورقة ، قد حال بينكم وبينها هذا النيل الذى لا ينقص بشرب من شرب منه ولو كان الفيل ، فمن أراد الوصول إليها وهو لا يحسن السباحة فليركب فى سفينة ذات ألواح ودرس تحمله فى ذهابه وإيابه ، وتدفع البلبل عنه وعن ثيابه ، ومن خالف ومشى على الماء واحترق وابتل وأدركه الفرق ، فلا يلومن على ذلك أحدا .

قال أبو دخلة : ذكر عندبة بن أبي الحكم فى كتابه المسمى يزيد الحكم أن رئيس أقرانه ، وحكيم أوانه دمسة بن الدمشن الأكبر حكيم بلاد شربشت قد أوصى ولده عنده موته فقال : يا بني ، خذ منى واحفظ عني وكن لما أقول واعيا ، إذا رأيت شخصا تحمله رجلاه ورأسه من أعلاه وهو يبصر بعيونه ويأكل إذا لم يكن مستعجلا يمينه ، فاعلم أنه من بني آدم ولو لم يخبرك أحد بذلك . انتهى .

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

حكى أن قوما قدموا غريمهم إلى الوالي وادعوا عليه بألف درهم، فقال
الوالي للغريم: ما تقول؟

فقال: صدقوا فيما يقولون، ولكنني أسألهم أن يهلوني لأبيع عقاري وإبلي
وغنمي، ثم أوفيهم.

فقالوا: أيها الوالي، قد كذب والله ما له شيء من المال لا قليل ولا كثير.

فقال: قد سمعت شهادتهم بإفلاسي، فكيف يطالبوني.

فأمر الوالي بإطلاقه.

وحكى أن رجلا ضرب أعور بحجر، فأصاب العين الصحيحة، فوضع
الأعور يده على عينيه، وقال أمسينا الليل والحمد لله.

حكى أبو مسعود قال: قال لي أبو داود المسيحي ما اسمك؟

قلت: سعد.

فقال ابن من؟

قلت: ابن مسعدة.

قال: أبو من؟

قلت: أبو مسعود.

فقال: مثلك مثل أعرابي سأل آخر فقال: ما اسمك؟ فقال: فياض.

فقال: ابن من؟ قال: ابن الفرات. فقال: أبو من؟ قال: أبو بحر. فقال: ليس
ينبغي لنا أن نلقاك إلا في سفينة أو زورق وإلا نغرق.

ومن الغرائب ما حكاه القاضي شمس الدين بن خلكان^(١) عن أبي معشر الفلكي^(٢) أن بعض الملوك طلب رجلا من أتباعه ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه استحق العقاب بسببها، فلما علم الرجل ذلك استخفى، وعلم أن أبا معشر يدل عليه بالطريق التي يستخرج بها الخفايا، فأراد أن يعمل شيئا لا يهتدي إليه، فأخذ طشتا من النحاس، وجعل فيه دما وجعل في الدم هاونا من الذهب، وجلس على الهاون أياما، فطلبه الملك وبالغ في طلبه، فلما عجز عنه قال لأبي معشر: عرفني موضعه بما جرت به عادتك.

فعمل المسألة التي يستخرج بها ذلك، ثم سكت ساعة حائرا، فقال له الملك: ما سبب سكوتك؟
فقال: أرى شيئا عجيبا.

(١) ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ / ١٢١١ - ١٢٨٢ م). أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان. اشتهر بكتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ويعد من أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطا. ولد في أربيل بالقرب من الموصل على شاطئ دجلة الشرقي وانتقل إلى مصر، فأقام بها مدة، وتولى نيابة قضائها. سافر إلى دمشق، فولاه الملك الظاهر بيبرس قضاء الشام. وغزل بعد عشر سنين، فعاد إلى مصر. فأقام سبع سنين، ورؤد إلى قضاء الشام، ثم عزل عنه بعد مدة. وولي التدريس في كثير من مدارس دمشق. وتوفي فيها فدفن في سفح جبل قاسيون. يتصل نسبه باليرامكة.
ترجمته في الأعلام ١/ ٢٢٠.

(٢) جعفر بن محمد بن عمر البلخي، أبو معشر: عالم فلكي مشهور، كان أولا من أصحاب الحديث، وتعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره، وضره المستعين العباسي أسواطا لأنه أخبر بشيء قبل حدوثه فحدث، فكان يقول: أصبت فعوقبت! قال القفطي في وصفه: عالم أهل الاسلام بأحكام النجوم. وكان أعلم الناس بتاريخ الفرس وأخبار سائر الأمم، وعمر طويلا، جاوز المائة، أصله من بلخ في خراسان، أقام زمنا في بغداد ومات بواسط سنة ٢٧٢ هـ. من كتبه: هيئة الفلك، وطبائع البلدان، والزيج الكبير، والزيج الصغير. انظر: الأعلام ٢/ ١٢٧، الفهرست لابن النديم ١: ٢٧٧ والقفطي ١٠٦ وابن خلكان ١: ١١٢.

فقال ما هو؟

قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب، والجبل في بحر من دم محيط به سور من نحاس، ولا أعلم في العالم موضعا على هذه الصفة.

فقال له: أعد النظر

ففعل، ثم قال: لا أرى إلا كما ذكرت، وهذا شيء ما وقع لي مثله. فلما أيس الملك من القدرة عليه بهذا الطريق نادى في البلد بالأمان للرجل، فلما حضر بين يديه سأله عن الموضع الذي كان فيه، فأخبره بما اعتمد عليه، فأعجبه حسن احتياله في إخفاء نفسه، ولطافة أبي معشر في استخراجِه لذلك وهذا من العجائب^(١).

* * *

(١) وفيات الأعيان ١/٣٥٩.

لطيفة

قدم رجل من سجلماسة^(١) يريد الحج ، فأودع عند رجل من أهل السوق - أحسن به الظن - ألف دينار ، فلما عاد من الحج طلب ماله منه فأنكره وجحده ، فشكا أمره إلى الحاكم بأمر الله^(٢) سرا ، فقال له : اقعده في السوق تجاه الرجل ، فإذا مررت عليك ، فأظهر أنني أعرفك ؛ فإني سأقف معك وأطيل السؤال عنك وعن حالك .

فلما فعل ذلك وانصرف الحاكم جاء الرجل الذي عنده الوديعة إليه ، وأكب على يديه فقبلهما وسأله الصفيح عنه ، وأحضر له الذهب ، فمضى إلى الحاكم وعرفه القصة فأصبح الرجل مقتولا معلقا على دكانه برجليه .

* * *

(١) سجلماسة: بكسر أوله وسكون اللام وبعد الألف سين مهملة ، مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان . كانت غربي الصحراء الكبرى ضمن حدود المغرب اليوم يمر بها وادي (إيسلي) يسمح ببعض الزراعات والنخيل وكانت من أهم المدن التجارية في العصور الإسلامية . لمرور القوافل عبرها إلى أفريقية الغربية . كانت عاصمة الخوارج المدرارين فترة من الزمن ومكانها اليوم مدينة (الريساني) في مقاطعة (تافيلالت) . معجم البلدان ٢/٤٣٣ ، تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير ٢/٥١ .

(٢) الحاكم العباسي (٦٢٥ - ٧٠١هـ/١٢٢٨ - ١٣٠٢م) هو : أحمد (الحاكم بأمر الله ، أبو العباس) ابن الأمير الحسن بن أبي بكر ابن علي القمي (بضم القاف وتشديد الباء) العباسي : أمير المؤمنين ، من ذرية المستظهر ابن المتدي . اختفى في واقعة بغداد وجمع عساكر من العريان انتح بهم عانة والأنبار ، وكر عليه التتار ، ونجا هو فسار إلى القاهرة ، وبوع فيها بالخلافة (٦٦١) وعقد السلطنة للظاهر بيبرس ، وضربت السكة باسمها مدة ثم اقتصر على اسم السلطان . وكان يخطب بنفسه وله شجاعة ، استمر ٤٠ سنة و ٤ أشهر و ١٠ أيام وتوفي بالقاهرة وهو في عشر الثمانين . ترجمته في : الأعلام ١/١١١ .

حكى القاضي شمس الدين بن خلكان في تاريخه أن شهاب الدين السهروردي^(١) المقتول بحلب كان بارعا في أصول الفقه، أوجد أهل زمانه في العلوم الفلسفية، وكان يعرف علم السيماء، قال: وحكى عنه بعض فقهاء العجم أنه كان في صحبته وقد خرجوا من دمشق المحروسة، قال: فلما وصلنا إلى القابون لقينا قطيع غنم مع رجل تركماني، فقلت للشيخ: يا مولانا، نريد من هذه الغنم رأسا نأكله.

فقال: معي عشرة دراهم خذوها واشتروا بها رأس غنم.

وكان هناك تركماني فاشترينا من التركماني الرأس بالدراهم، ومشينا فلحقنا رقيق له وقال: ردوا الرأس وخذوا أصغر منه؛ فإن هذا ما عرف أن يبيعكم.

فتناولنا نحن وإياه. فلما عرف الشيخ القصة قال: لتأخذوا أتم الرأس، وامشوا وأنا أقف معه وأرضيه.

فتقدمنا نحن وبقي الشيخ يتحدث معه ويطيب قلبه، فلما بعدنا قليلا تركه الشيخ وتبعنا، وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح وهو لا يلتفت إليه، فلما رأى أنه لا يكلمه لحقه وقبض على يده اليسرى وقال: كيف تروح وتخليني وما تعطيني حقي؟

(١) يحيى بن حبش بن أميرك، أبو الفتوح، شهاب الدين، السهروردي (٥٤٩ - ٥٨٧هـ): فيلسوف، اختلف المؤرخون في اسمه، ولد في سهرورد (من قرى زنجان في العراق العجمي) ونشأ بخراسان، وسافر إلى حلب، فنسب إلى انحلال العقيدة، وكان علمه أكثر من عقله (كما يقول ابن خلكان) فأقتى العلماء بإباحة دمه، فسجنه الملك الظاهر غازي، وخنقه في سجنه بقلعة حلب، من كتبه: التلويحات، وهياكل النور، والمشارع والمطارحات، والأسماء الإدريسية. انظر: الأعلام ٨/ ١٤٠، وفيات الأعيان ٢: ٢٦١، والنجوم الزاهرة ٦: ١١٤، وابن الوردي ٢: ١٠٤ وأعلام النبلاء ٤: ٢٩٢ ومراة الجنان ٣: ٤٣٤ ونسان الميزان ٣: ١٥٦.

وإذا بيد الشيخ قد انخلعت معه من عند كتفيه وبقيت في يد التركماني ،
فلما عاين التركماني ذلك تحمير في أمره ورمى اليد وخاف وهرب ، فرجع الشيخ
وأخذ اليد بيده اليمني ولحقنا ، وبقي التركماني راجعا هاربا ، وهو يلتفت إليه
حتى غاب عنه ، فلما وصل إلينا الشيخ رأينا في يده منديلا لا غير فعجبنا جميعا
من ذلك .

انتهت حكايات الملافيق والله ولي التوفيق .

* * *

الباب المتمم عشرين

في ذكر من اخترع النرد بثاقب فكره
فكان ذلك سببا لعلو قدره واستبقاء ذكره

اعلم - وفقك الله تعالى - أن أول من اخترع النرد وهو المسمى عند العوام بالطولة أردشير بن بابك^(١) وهو أول ملوك الفرس الأخيرة، وكان اختراعه لها في صدر الإسلام^(٢)، وهو أول من وضع النرد وضربها مثلا للقضاء والقدر، وأن الإنسان ليس له تصرف في نفسه لا يملك لها نفعا ولا ضرا؛ أي لا يملك جلب النفع لنفسه ولا يقدر أن يدفع الضرر عنها، ولا يقدر أن يجلب لها موتا ولا حياة ولا سعدا ولا شقاء، بل هو مصرف على حكم القضاء والقدر معرض طورا للنفع وطورا للضرر، وجعلها أيضا تمثيلا للحظ والنصيب الذي يتاله العاجز بما يجري لديه من الملك والحرمان الذي يتلى به الحازم بما دار به عليه الفلك، وقد وضعها على مثال الدنيا وأهلها، فرتب الرقعة اثني عشر بيتا - أي: خانة - بعدد شهور السنة والبروج الاثني عشر، وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام كل شهر، والدرج التي هي لكل برج ثلاثين درجة، ومعنى ذلك أن كل ثلاثين درجة على سبعة أيام، والمراد من ذلك الكواكب السيارة السبعة، ثم جعل لها تشبيها فوضع، وشبهها بالنيران، وصور فيها أربعة وعشرين بيتا بعدد ساعات الليل والنهار في كل ناحية منها اثنا عشر بيتا، وصير لها ثلاثين كلبا تشبيها بأيام الشهر، ودرج الفلك، ثم عمل فصين شبههما بالليل والنهار،

(١) أردشير بن بابك بن ساسان: جد ملوك الفرس الذين آخرهم يزدجرد.

ترجمته في: الاخبار الطوال، ص ٤٥ ٤٢، وتاريخ الطبري ٤٣/٢ ٣٧، وروج الذهب ١/

٢٤٥ وما بعدها.

(٢) وفيات الأعيان ٤/٣٥٧.

وتوصل إلى إرسال ذلك للعقول بأن جعل اللعب بالفصين اللذين أنزلهما منزلة الليل والنهار، فجعل لكل فص ستة أوجه كجهات الإنسان، وهو فوق وأسفل ووراء وأمام ويمين وشمال؛ لأنه عدد له نصف وثلث وسدس، وجعل في كل جهة من الفصين سبع نقط؛ تحت الستة واحدة، وتحت الخمسة اثنتين، وتحت الأربعة ثلاثة تشبيها بعدد الأيام وعدة الكواكب السيارة، وأنزلهما منزلة القضاء والقدر، ثم جعلها محنة بين رجلين يلعبان بها، وأنزلهما منزلة الليل والنهار يشير بذلك إلى أن الإنسان لا يعلم من أين يأتيه الخير والشر، فكما أن الإنسان لا يعلم ما يرد عليه من خير أو شر أو نفع أو ضرر، فكذا لا يعلم ما يعطيه - أي الفصان - أو يسلبانه، وهل يكون غالبا أو مغلوبا إذ ليس له من الأمر شيء، وأشار فيها أيضا إلى تقلب القدر بالإنسان فتارة يكون شريفا، ثم يكون مشروفا وبالعكس إلى ما لا نهاية له من تقلب الأطوار في تغاير الأوطار^(١).

ولقد أحسن السري الرفاء^(٢) في وصفها من أبيات^(٣): [الكامل]

(١) غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة ٤٢٢/١.

(٢) السري بن أحمد بن السري الكندي، أبو الحسن (ت ٣٦٦): شاعر، أديب من أهل الموصل، كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بها، فعرف بالرفاء، ولما جاد شعره ومهر في الأدب قصد سيف الدولة بحلب، فمدحه وأقام عنده مدة، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد، ومدح جماعة من الوزراء والأعيان، ونفق شعره إلى أن تصدى له الخالديان (محمد وسعيد ابنا هاشم) وكانت بينه وبينهما مهاجاة فأذياه وأبعدها عن مجالس الكبراء، فضاقت دنياه واضطر للعمل في الوراقة (النسخ والتجليد) فجلس يورق شعره ويبيعه، ثم نسخ لغيره بالأجرة، وركبه الدين، ومات ببغداد على تلك الحال، وكان عذب الألفاظ، مفتتا في التشبيهات والأوصاف، ولم يكن له رواء ولا منظر، من كتبه: ديوان شعره، والحب والمحبوب والمشموم والمشروب. انظر: الأعلام ٨١/٣، وفيات الأعيان ١: ٢٠١ ويئمة الدهر ١: ٤٥٠ - ٥٣٠ ومعاهد التنصيص ٣:

٢٨٠ وتاريخ بغداد ٩: ١٩٤ وكشف الظنون ١٦١١.

(٣) انظر: غرر الخصائص ٤٢٢/١، وديوان المعاني ص ٢٥٢.

ومحكمان على النفوس وربما
 أخوان قد وسما على متنيهما
 لم يحكما فيهن حكما عادلا
 سمة تحث على البليد غوائلا
 ويلقاهما المرزوق سعدا طالعا
 ويراهم المحروم سعدا أفلا
 فإذاهما اصطحبا على كف الفتى
 ضراه أو نفعاه نفعما عاجلا

خاتمة الباب وتحفة لذوي الآداب

أقول^(١): وأما الشطرنج، فإن الفرس لما افتخرت بوضع الترد وأحسننت وضعه وصناعته، وكان ملك الروم يومئذ بلهيث، فوضع له رجل من الحكماء صفة الشطرنج وما وضعه إلا لتهض القوة للحرب، وكان قد اخترعه وضربه مثلا على أن الإنسان قادر بسعيه واجتهاده أن يبلغ المراتب العلية والخطط السننية، وإن هو قد أهملها صارت به من الخمول إلى الحضيض، وأخرجته من روض العيش الأريض، ومما جعله دليلا على ذلك أن البيدق^(٢) ينال بحركته وسعيه منزلة الفرزان في الرياسة، وجعلها مصورة تماثيل على صورة الناطق والصامت، وجعلها درجات ومراتب، وجعل الشاه المدير الرئيس والفرس والفيل مركوبان له، والفرزان وزيره والبيادق رعاياه، فكما أن الواحد من الرعية إذا أعطى الاجتهاد حقه في تهذيب نفسه وتأديبها كان ذلك عوناً على أن ينال رتبة الفرزان، فكذلك الفرزان إذا علت همته وتمكنت قدرته طمحت نفسه إلى نيل رتبة الشاه وقتاله، وكذلك ما يليها من القطع.

ويقال^(٣): إن سبب وضعها أن بعض الملوك من الهند كان له ولد يسمى شاه، وقد أخرجته إلى بعض الحروب فقتل فيها فهاب الناس الملك أن يعلموه بموت ولده، فوضع لهم بعض حكمائهم الشطرنج، وبين لهم فيها ما خفي عنهم من مكاييد الحروب، وكيفية التدبير والحزم والاحتياط والمكيدة والقوة

(١) غرر الخصائص ١/٤٢٣.

(٢) البيدق: الجندي الراجل، الجمع: بيادق وبيادقة منه بيدق الشطرنج. الوسيط (بيدق).

(٣) غرر الخصائص ١/٤٢٣.

والجد والشجاعة والبأس ، فمن عدم شيئا من ذلك علم موضع تقصيره ، ومن أين أتى بسوء تدبيره ؛ لأن خطأها لا يستقال ، والعجز فيها متلف المهج والأموال .

واعلم أيضا أن في ترك الحزم ذهاب الملك وضعف الرأي جالب للعطف والهلك ، وأن التقصير سبب للهزيمة والإتلاف ، وعدم المعرفة بالتعبير داع إلى الانكشاف ، وأمرهم أن يلعبوا بها بين يدي الملك ، فلما لعبوا بها قال الغالب للمغلوب : شاه مات .

ففظن الملك المراد وأمر أن يعزى بولده ثمره الفؤاد .

ويقال : إن صصة لما وضع الشطرنج وعرضها على الملك وأظهر له مكنون سرها قال له : اقترح ما تشتتهي .

قال : أن تضع حبة بر في البيت الأول ، ولا تزال تضعها حتى تنتهي إلى آخر البيوت ، فما بلغ تعطيني إياه ، فاستخف الملك عقله واحتقر ما طلبه وقال : كنت أظن أن عقلك راجح وكنت أظن لتوقد فكرك أن تطلب شيئا نفيسا . فقال : أيها الملك إنك لما صرفتني إلى التمني لم يخطر ببالي غير ذلك ، ولا سبيل إلى الرجوع عنه .

فأنعم الملك عليه بما سأل ف ، أمر بإحضار الحساب ، وأمرهم أن يحسبوا له ذلك ، فأعملوا في بلوغ قصده مطايا الأفكار حتى لاح لهم نجم صدقه ، فعرفوه بعد الإنكار ، فلم يجدوا في بلاد الدنيا من البر ما يفي للحكيم بمراه ، ولو كانت الرمال من أمداه ، وذلك أنهم وضعوا حبة في البيت الأول ، وفي الثاني حبتين ، وفي الثالث أربعة ، وفي الرابع ثمانية ، وفي الخامس ستة عشر ، وهكذا ولولا مخافة الإطالة ، وأنها تؤدي إلى الملالة لذكرنا تضعيف عدده ونهاية ما يكون من مدده ، ولم أهمل ذلك فقد وجدت بعض الحذاق قد حصرها

بالأعداد الهندية ونظمها في بيت من الشعر فناسب أن أذكره استحسانا لوجازته
وقربه وهذا هو البيت المذكور:

هاو امهط وصر بعد زجر وثن صفرا وقل ددز وددحا

١٨٤٤٦ ٧٤٤ ٠٠٧٣٧ ٠٩٥٥١ ٦١٥

وحاصل العدد ١٨٤٤٦٧٤٤٠٠٧٣٧٠٩٥٥١٦١٥

وقالوا: إن شطرنج أصله شش رنك ومعناه ستة ألوان؛ لأن شش عندهم
سنة، ورنك لون، فكأنهم قالوا: ستة ألوان فالشاه لون، والفرزان لون، والفيل
لون، والرخ لون، والفرس لون، والبيدق لون، وهلم جرا.

(تنبيه)

اعلم - أيدك الله بنصره - أن النرد المتقدم ذكره اللعب به حرام بالإجماع ،
وأما الشطرنج فمختلف فيه والأظهر عند الإمام الشافعي^(١) - رضي الله تعالى عنه
- أنه مباح إذ لم يثبت فيه نص بحرمة ولا غيرها ، فبقي على الحل .
ونقل أن الصحابة كانت تلعب به كعبد الله بن جعفر^(٢) ، وغيره .

- (١) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي ، أبو عبد الله (١٥٠ - ٢٠٤هـ) : أحد الائمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسبة الشافعية كافة ، ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين ، وزار بغداد مرتين ، وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها ، وقبره معروف في القاهرة ، قال المبرد : كان الشافعي أشعر الناس وأديهم وأعرفهم بالفقه والقراءات . وقال الإمام ابن حنبل : ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته مئة . وكان من أحذق قريش بالرمي ، يصيب من العشرة عشرة ، برع في ذلك أولاً كما برع في الشعر واللغة وأيام العرب ، ثم أقبل على الفقه والحديث ، وأفتى وهو ابن عشرين سنة ، وكان ذكياً مفرطاً ، له تصانيف كثيرة ، أشهرها : كتاب الأم ، والمسند ، والرسالة . انظر : الأعلام ٦ / ٢٦ ، تذكرة الحفاظ ١ : ٣٢٩ وتهذيب التهذيب ٩ : ٢٥ والوفيات ١ : ٤٤٧ .
- (٢) عبد الله بن جعفر (١ - ٦٢٢هـ / ٧٠٠م) هو : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي : صحابي . ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها . وهو أول من ولد بهامن المسلمين . وأتى البصرة والكوفة والشام . وكان كريماً يسمى بحر الجود . وللشعراء فيه مدائح . وكان أحد الأمراء في جيش علي يوم "صفين" ومات بالمدينة .
- ترجمته في : نسب قريش : ٨١ ، ٨٢ ، طبقات خليفة : ت ٨٢٣ ، ١٤٨٤ ، الحبير : ٥٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٩٣ ، التاريخ الكبير ٧ / ٥ ، التاريخ الصغير ١ / ١٩٧ ، المعرفة والتاريخ ١ / ٢٤٢ ، الكنى ١ / ٦٦ ، الجرح والتعديل ٥ / ٢١ ، جمهرة أنساب العرب : ٦٨ ، الاستيعاب : ٨٨٠ ، أسد الغابة ٣ / ١٩٨ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١ / ٢٦٣ ، تهذيب الكمال : ٦٧٠ ، تاريخ الإسلام ٣ / ١٦٣ ، العبر ١ / ٩١ ، البداية والنهاية ٩ / ٣٣ ، العقد الثمين ٥ / ١٢٠ ، الإصابة ٢ / ٢٨٩ ، تهذيب التهذيب ٥ / ١٧٠ ، شذرات الذهب ١ / ٨٧ .

والذي ينبغي لمن يلعب بالشطرنج :

* أنه لا يحلف عليها بصدق ولا كذب .

* وأن يترك المرء .

* ويتجنب المكايرة ، فإنه لعب .

* ولا ينبغي أن يتوصل به إلى الحسد والغضب .

* ولا يراهن عليه ؛ لأنه حرام ، وفيه مادة الحقد ، فإن كان لا بد من ذلك

فيتوصل إليه بطريق الهبة والنذر ، وليكن على المأكول والأشياء اليسيرة دون

الأموال ، فإنه قمار وهو حرام جزما بلا خلاف ، وردئ قولاً واحداً ، غير

محمود لا شرعاً ولا عقلاً .

* ومن لعبه مع الملك أو مع أحد من العظماء فليصبر حتى يتدئ باللعب

ويحترز أن يمثل عليها بالأمثال القبيحة والأشعار السخيفة ، فكثيراً ما يجري مثل

ذلك من اللعاب .

* ولا يقال للملك : قهرت . ولا : غلبت . ولا : شاه مات . وإنما يقال

شاه : بلا بيت . أو : شاه ويسكت .

* وإذا فرغ من اللعب فلا يطرح الشطرنج في وسط الرقعة ، بل يبقى مكانه

حتى يشرع في [صفه]^(١) ، وإذا حضرت بحضرة من يلعب فلا تدبذب

لأحدهما على الآخر ، ولا تشر إليه فيشغل صاحبه ويشنؤك الخصم .

ومن هنا حكى أن أميرين جلسا بحضرة عضد الدولة^(٢) يلعبان بالشطرنج ،

(١) في الأصل : « صفته » ، ولعل المثبت هو الصواب .

(٢) عضد الدولة البويهى (٣٢٤ - ٣٧٢هـ / ٩٣٦ - ٩٨٣م) هو : فناخسرو ، الملقب عضد الدولة ،

ابن الحسن الملقب ركن الدولة ابن بويه الديلمي ، أبو شجاع : أحد المتغلبين على الملك في عهد

العدولة العباسية بالعراق . تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة . وهو أول من =

فأشار إلى أحدهما يعلمه على الآخر، وهما متراهمان، فقال الثاني لصاحبه: غلبتني يا فلان.

قال: وكيف ذلك؟

قال: لأن الملك عضد الدولة يدبذب لك علي، ومن كان عليه فإنه مغلوب لا محالة فدعني أزيح التعب.

فأعجب الملك بأدبه وسكت عنه، فاتفق أنه غلب كما قال فوفى عنه عضد الدولة.

ولعلي بن الجهم في وصف الشطرنج شعر نفيس حيث قال^(١): [البيسط]

أرض مربعة حمراء من آدم	ما بين جيشين ^(٢) مصفوفين بالكرم
تذكر الحرب فاحتلالها شبيها ^(٣)	من غير أن يأتما فيه بسفك دم
هذا يكر على هذا وذاك على	هذا يكر وعين الحرب لم تنم ^(٤)
فانظر إلى فطن جاشت بفكرهما ^(٥)	بعسكرين بلا طبل ولا علم

= خطب له على المنابر بعد الخليفة، وأول من لقب في الإسلام "شاهنشا".

ترجمته في: يتيمة الدهر: ٢١٦/٢ - ٢١٨، المنتظم: ١١٣/٧ - ١١٨، الكامل لابن الأثير:

٥٨٤/٨ - ٥٨٧، وفيات الأعيان: ٥٠/٤ - ٥٥، المختصر في أخبار البشر: ١٢٢/٢ - ١٢٣،

العبر: ٣٦١/٢ - ٣٦٢، دول الإسلام: ٢٢٩/١ - ٢٣٠، ابن الوردي: ٣٠٥/١، مرآة

الحنان: ٣٩٨/٢، البداية والنهاية: ٢٩٩/١١ - ٣٠١، النجوم الزاهرة: ١٤٢/٤، ١٤٣،

بغية الوعاة: ٢٤٧/٢ - ٢٤٨، شذرات الذهب: ٧٨/٣ - ٧٩.

(١) ديوانه، ص ١٥٨.

(٢) في الديوان: «إفنين».

(٣) في الديوان: «فطنا».

(٤) رواية هذا الشطر في الديوان: «هذا وَعَيْنُ حَلِيفِ الْحَزْمِ لَمْ تَنَمْ».

(٥) رواية هذا الشطر في الديوان: «فَانظُرْ إِلَى بُهْمِ جَاشَتْ بِمَعْرَكَةٍ».

وقال ابن بكري^(١) في معنى ذلك وأجاد في قوله^(٢): [مجزوء الرمل]
 إنما لعبك بالشط رنج للنفس رياضه
 فاهجر الهجر لديها لا ترد يوماً حياضه
 وتجنب صاحب الجهد ل ومن فيه غضاضه
 لا تجالس غير ندب زانه العقل وراضه
 وقد قال الشيخ رشيد الدين الفارقي^(٣) - رحمه الله تعالى - بيتاً مفرداً في
 كيفية لعب تلك الرقعة، وقال: إن من حفظه وعمل به لم يغلب، بل يكون
 غالباً دائماً، وهو هذا: [الكامل]

حقق مقاصد كل نقل وانتهي عنه ولاحظ ما على الشاهين
 وفي هذا القدر كفاية لذوي الألباب ممن يروم الألعاب

* * *

(١) ابن بكري الكاتب من الحرم. والده مستعمل السقلاطون لدار الخلافة. وكان هو كاتباً في ديوان المجلس سنين، ثم صرفه الوزير. فيه فضل وأدب. وهو من طبقات الشُّطْرُنْجِيِّين ببغداد. ترجمته في: خريدة القصر ١/١٥٠.

(٢) خريدة القصر ١/١٥٤.

(٣) عمر بن إسماعيل بن مسعود، أبو حفص، رشيد الدين، الربيعي الفارقي (٥٩٨ - ٦٨٧هـ): أديب عصره، كتب في ديوان الإنشاء، وحنقه لص في بيته بالظاهرية (بمصر) طمعا بماله، كان عارفاً بالتفسير والأصول، له: (المقدمة الكبرى)، و(المقدمة الصغرى) في النحو. انظر: الأعلام ٤٢/٥، فوات الوفيات ٢: ١٠٣.

الباب الحادي والعشرون في ذكر الأخلاق الحسنة واللطائف المستحسنة

قال الله تعالى لنبية ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾^(١) .
فخص الله تعالى نبيه ﷺ بما منَّ به عليه ؛ من كرم الطباع ، ومحاسن
الأخلاق ؛ من الحياء ، والكرم ، والصفح ، وحسن العهد مما لم يؤته غيره .
ثم ما أثنى الله تعالى عليه بشيء من فضائله كثناؤه عليه بحسن الخلق حيث
قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ .

قالت عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى
لرضاه)^(٢) . وقالت عائشة رضي الله عنها: (ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة
قط ، ولا خادما له ، ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير
بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون إثما ، أو قطعة رحم فيكون أبعد الناس
منه)^(٣) .

وقال إبراهيم بن عباس^(٤) : لو وزنت كلمة رسول الله ﷺ بمحاسن الناس
لرجحت وهي قوله عليه الصلاة والسلام : «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم
فسعواهم بأخلاقكم»^(٥) . وفي رواية أخرى : «فسعواهم بيسط الوجه والخلق

(١) سورة القلم ، الآية : ٤ .

(٢) أخرجه ابن عساکر (٣/٣٨٢) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩/٤٤٢) ، وأحمد (٦/٢٨١) ، رقم (٢٦٤٤٨) ، وعبد بن حميد (ص

٤٣٠ ، رقم (١٤٨١) ، وابن عساکر (٣/٣٧٢) .

(٤) المستطرف ١/١٠١ .

(٥) أخرجه البيهقي في معجم ابن عساکر ٢/١١٠ .

الحسن»^(١). وعنه عليه السلام أنه قال: «حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى في أنف صاحبه، والزمام بيد الملك، والمملك يجره إلى الخير، والخير يجره إلى الجنة. وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى في أنف صاحبه، والزمام بيد الشيطان، والشيطان يجره إلى الشر، والشر يجره إلى النار»^(٢).

وقال الفضيل بن عياض^(٣): لأن يصحبني فاجر حسن الخلق، أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق؛ لأن الفاجر إذا حسن خلقه خف على الناس وأحبوه، والعابد إذا ساء خلقه مقتوه^(٤).

بيت مفرد^(٥): [الوافر]

إذا رام التخلق جاذبته خلانقه إلى الطبع القديم
ومن لطائف الأخلاق أن بعض حاشية جعفر بن سليمان سرق جوهرة
نفيسة وباعها بمال جزيل، فأنفذ إلى الجوهريين بصفتها، فقالوا: باعها فلان من
مدة كذا.

ثم إن ذلك الرجل الذي سرقها قبض عليه وأحضر بين يدي جعفر، فلما
رأى ما ظهر عليه قال له: أراك قد تغير لونك، ألسنت يوم كذا طلبت مني هذه

(١) السابق: نفس الموضع.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/٢٤٨.

(٣) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي (١٠٥ - ١٨٧هـ): شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصالحاء، كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي، ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها، ثم سكن مكة وتوفي بها. انظر: الأعلام ٥/١٥٣، طبقات الصوفية ٦ - ١٤. وتذكرة الحفاظ ١: ٢٢٥ وتهذيب ٨: ٢٩٤ والجواهر المضية ١: ٤٠٩ وصفة الصفة ٢: ١٣٤ وحلية ٨: ٨٤ وابن خلكان ١: ٤١٥.

(٤) روضة العقلاء ١١٤.

(٥) البيت للبحري في ديوانه ١١٩.

الجوهرة، فوهبتها لك، وأقسم بالله: لقد أنسيت هذا ثم أمر للجوهري بثمانها، وقال للرجل: خذها الآن حلالا طيبا، وبعها بالثمن الذي يطيب خاطرک به لا تبع بيع خائف.

وذكر أن أنوشروان وضع الموائد للناس في يوم نوروز، وجلس ودخل وجوه أهل مملكته في الإيوان، فلما فرغوا من الطعام جاءوا بالشراب، وأحضرت الفواكه والمشموم في آنية الذهب والفضة، فلما رفعت الآنية من المجلس أخذ بعض من حضر جام ذهب وزنه ألف مثقال وخبأه تحت ثيابه، وأنوشروان يراه، فلما فقهه الشرايبي صاح بصوت عال: لا يخرجن أحد حتى يفتش.

فقال كسرى: ولم؟

فأخبره بالقضية، فقال: قد أخذه من لا يرده، ورآه من لا ينم عليه، فلا تفتش أحدا. فأخذ الرجل الجام ومضى، فكسره وصاغ منه منطقة، وحلية لسيفه، وجدد له كسوة جميلة، فلما كان في مثل ذلك اليوم جلس الملك، ودخل ذلك الرجل بتلك الحلية، فدعاه كسرى وقال له: هذا من ذاك. فقبل الأرض وقال: نعم أصلحك الله.

وقال عبد الله بن طاهر^(١): كنت عند المأمون يوما، فنادى بالخدام:

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس (١٨٢ - ٢٣٠هـ): أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي، أصله من باذغيس بخراسان وكان جده الأعلى (زريق) من موالي طلحة بن عبد الله (المعروف بطلحة الطلحات) وولي صاحب الترجمة إمرة الشام مدة، ونقل إلى مصر سنة ٢١١ هـ، فأقام سنة، ونقل إلى الدينور، ثم ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الأطراف، واستمر إلى أن توفي بنيسابور (وقيل: بمر) وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه، قال ابن الأثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلا للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراثٍ كثيرة، وقال ابن خلكان: كان عبد الله سيدا نبيلًا عالي الهمة=

يا غلام . فلم يجبه أحد ، ثم نادى ثانيا وصاح : يا غلام . فدخل غلام تركي وهو يقول : ما ينبغي للغلام أن يأكل ولا يشرب ؟

كلما خرجت من عندك تصيح : يا غلام ، يا غلام إلى كم يا غلام ؟ فنكس المأمون رأسه طويلا ، فما شككت أنه يأمرني بضرب عنقه ، ثم نظر إلي فقال : يا عبد الله ، إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه ، وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه ، وأنا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا^(١) .

وكان ابن عمر^(٢) رضي الله عنه : إذا رأى أحدا من عبیده يحسن صلاته يعتقد ، فعرفوا ذلك من خلقه ، فكانوا يحسنون الصلاة مراعاة له له ، فكان يعتقدهم ، فقليل له : إنهم يحسنون الصلاة لذلك خداعا . فقال : من خدعنا في الله انخدعنا له^(٣) .

=شهما ، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه . وقال الذهبي في دول الإسلام : كان عبد الله من كبار الملوك . وقال الشاشتي : كان المأمون تبناه ورباه . انظر : الأعلام ٩٣/٤ ، ٩٤ ، وابن الاثير ٧ : ٥ والطبري ١١ : ١٣ وابن خلكان ١ : ٢٦٠ وتاريخ بغداد ٩ : ٤٨٣ .
(١) المستطرف ١/٣٢٠ .

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي ، أبو عبد الرحمن (١٠ ق هـ - ٧٣ هـ) : صحابي ، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية ، كان جريئا جهوريا ، نشأ في الإسلام ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه ، وشهد فتح مكة ، ومولده ووفاته فيها ، أفتى الناس في الإسلام ستين سنة ، ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى ، وغزا إفريقية مرتين : الأولى مع ابن أبي سرح ، والثانية مع معاوية بن حديج سنة ٣٤ هـ ، وكف بصره في آخر حياته ، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة ، له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا . انظر : الأعلام ١٠٨/٤ ، وحلية ١ : ٢٩٢ وصفة الصفوة ١ : ٢٢٨ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٨٢٩) .

ومن محاسن الأخلاق ما حكى عن القاضي يحيى بن أكثم^(١)، قال :
كنت نائما ذات ليلة عند المأمون، فغطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه، وأنا
نائم فينغص علي نومي، فرأيتُه وقد قام يمشي على أطراف أصابعه حتى أتى
موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو من ثلاثمائة خطوة، فأخذ
منهما كوزا فشرب، ثم رجع يمشي على أطراف أصابعه حتى قرب من القرش
الذي أنا عليه، فخطا خطوات خائف لئلا ينبهني، حتى صار إلى فراشه، ثم
رأيتُه آخر الليل قام يبول، وكان يقوم في أول الليل وآخره، فقعد طويلا يحاول
أن أتحرك، فيصيح بالغلام، فلما تحركت وثب قائما وصاح: يا غلام، وتأهب
للصلاة، ثم جاءني فقال لي: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ وكيف كان
مبيتك؟

قلت: خير مبيت - جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين - قد خصك الله
تعالى بأخلاق الأنبياء، وأحب لك سيرتهم فهنالك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها
عليك .

فأمر بألف دينار فأخذتها وانصرفت .

وحكى أن بهرام الملك^(٢) خرج يوما للصيد، فانفرد عن أصحابه، فرأى

(١) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسدي المروزي، أبو محمد (١٥٩ - ٢٤٢هـ) :
قاض رفيع القدر، عالي الشهرة، من نبلاء الفقهاء، يتصل نسبه بأكثم ابن صيفي حكيم
العرب، ولد بمرو، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها، فولاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢ هـ ثم قضاء
القضاة ببغداد، وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد، وكان - مع تقدمه في الفقه
وأدب القضاء - حسن العشرة، حلو الحديث، استولى على قلب المأمون حتى أمر بالآل يحجب
عنه ليلا ولا نهارا، وله غزوات وغارات، منها أن المأمون وجهه سنة ٢١٦ هـ إلى بعض جهات
الروم، فعاد ظافرا، وتوفي بالربيعة . الأعلام ٨/ ١٣٨، وفيات الأعيان ٢: ٢١٧ .

(٢) قال ابن خلكان: بهرام جور من ملوك الفرس، وكان قبل مبعث النبي ﷺ بزمان طويل، =

صيدا فتبعه طامعا في لحاقه حتى بعد عن عسكره ، فنظر إلى راع تحت شجرة
فنزل عن فرسه ليبول ، وقال للراعي : احفظ علي فرسي حتى أبول .

فعمد الراعي إلى العنان وكان ملبسا ذهبيا كثيرا ، فاستغفل بهرام وأخرج
سكينا ، فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذي عليه ، فرفع بهرام نظره إليه
فراه فغض بصره ، وأطرق برأسه إلى الأرض وأطال الجلوس ، حتى أخذ الرجل
حاجته ، ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعي : قدم إلي فرسي فإنه قد
دخل في عيني من سافي الريح فلا أقدر على فتحها ، فقدمه إليه فركب وسار
إلى أن وصل إلى عسكره .

فقال لصاحب مراكبه : إن أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا .

* * *

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

قال علي - عليه السلام وكرم وجهه - لا تستحي من إعطاء القليل ، فالحرمان أقل منه . وقال المهلب^(١) : عجبت لمن يشتري الممالك بماله كيف لا يشتري الأحرار بفعاله^(٢) .
 ووقف أعرابي على ابن عامر^(٣) ، فقال : يا قمر البصرة ، وشمس الحجاز ،

(١) هو : المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي ، أبو سعيد : أمير ، بطاش ، جواد ، قال فيه عبد الله بن الزبير : هذا سيد أهل العراق . ولد في دبا ، ونشأ بالبصرة ، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر . وولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير . وققت عينه بسمرقند . وانتدب لقتال الأزارقة ، وكانوا قد غلبوا على البلاد ، وشرط له أن كل بلد يجلبهم عنه يكون له التصرف في خراجه تلك السنة ، فأقام يحاربهم تسعة عشر عاما لقي فيها منهم الأهل . وأخيرا تم له الظفر بهم فقتل كثيرين وشرد بقيتهم في البلاد ، ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان ، فقدمها سنة ٥٧٩ هـ ، ومات فيها . وهو أول من اتخذ الركب من الحديد - وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب - وأخباره كثيرة .

ترجمته في وفيات ٢ : ١٤٥ ورجبة الأمل ٢ : ٢٠١ ، والأعلام ٧ / ٣١٥ .

(٢) الإعجاز والإيجاز ٦٧ .

(٣) عبد الله بن عامر (٤ - ٦٢٥/هـ - ٦٧٩م) هو : عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي ، أبو عبد الرحمن : أمير ، فاتح . ولد بمكة . وولي البصرة في أيام عثمان (سنة ٢٩ هـ) فوجه جيشا إلى سجستان فافتتحها صلحا ، وافتتح الدلور ، وبلادا من دار ابجرد وهاجم مرو الروذ فافتتحها ، وبلغ سرخس فانقادت له ، وفتح أبرشهر عنوة ، وطوس وطخارستان ونيسابور وأبورد وبلغ والطلقان والفارياب . وافتتحت له رساتيق هراة وآمل وبست وكابل . وقتل عثمان ، وهو على البصرة . وشهد وقعة الجمل مع عائشة ، ولم يحضر وقعة صفين . وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافته . ثم صرفه عنها فأقام بالمدينة ومات بمكة ، ودفن بعرفات . كان شجاعا سخيا وصولا لقومه ، رحيفا ، محبا للعرمان ، اشترى كثيرا من دور البصرة وهدمها فجعلها شارعا . وهو أول من اتخذ الحياض بعرفة (في الحجاز) وأجرى إليها =

ويا ابن ذروة العرب ، وابن بطحاء مكة ، برحت بي الحاجة وأكدت بي الآل
إلا بنفائك فامنحني بقدر الطاقة لا بقدر المجد والشرف والهمة ، فأمر له بمائتي
ألف درهم^(١) .

وروي أن عمر - رضي الله عنه - رأى سكران فأراد أن يأخذه ليعزره ، فشتمه
السكران فرجع عنه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته؟!
قال : إنما تركته لأنه أغضبني ، فلو عززته لكنت قد انتصرت لنفسي ، فلا
أحب أن أضرب مسلماً لحمية نفسي .

وحكي أن رجلاً زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له
ألف دينار ، ثم جاء بها إلى وكيل الفضل ، فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنه
خط الفضل ، فشرع في أن يزن له الألف دينار ، وإذا بالفضل قد حضر
ليحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم ، فلما جلس أخبره الوكيل بأمر
الرجل وأوقفه على الورقة ، فنظر الفضل فيها ، ثم نظر وجه الرجل فرآه كاد
يموت من الوجع والحجل ، فأطرق الفضل بوجهه ، ثم قال للوكيل : أتدري لم
أتيتك في هذا الوقت ؟

قال : لا .

قال : جئت لأستهضك حتى تعجل هذا الرجل إعطاء المبلغ الذي في هذه
الورقة .

فأسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وتناول الرجل ، فقبضه وصار متحيراً

= العين ، وسقى الناس الماء . قال الإمام علي : ابن عامر سيد فتیان قريش . ولما بلغ معاوية نبأ

وفاته ، قال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر ونباهي !

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٣٠ / ٥ ، والأعلام ٩٥ / ٤ .

(١) ربيع الأبرار ٤٤١ / ٢

في أمره ، فالتفت إليه الفضل وقال له : طب نفسا وامض إلى سبيلك أمنا على نفسك .

فقبل الرجل يده وقال له : سترتنى سترك الله في الدنيا والآخرة . ثم أخذ المال ومضى .

فيجب على الإنسان أن يتأسى بهذه الأخلاق الجميلة والأفعال الجليلة .
نسأل الله تعالى أن يحسن أخلاقنا ، وأن يبارك لنا في أرزاقنا إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب الثاني والعشرون

في ذكر مدح الأسماء منظوما

وتطريز بعض الأسماء إما مع اللقب وإما مجردة تكميلا

لتحصيل الأرب والله الموفق

فمن ذلك للقيراطي في مליح اسمه بدر^(١) : [مجزوء البسيط]

سموه بدرا وذاك لما أن فاق في حسنه وتما

وأجمع الناس إذ رأوه بأنه اسم على مسمى

وقال بعضهم في مليح اسمه إبراهيم^(٢) : [الطويل]

رأيت حبيبي في المنام معانقي وذلك للمهجور مرتبة عليا

وقدرق لي من بعد هجر وقسوة وما ضر إبراهيم لو صدق الرؤيا

وفيه أيضا^(٣) : [الكامل]

لا زال بابك كعبة محجوجة وترابها فوق الجباه وسيم

حتى ينادى في البقاع بأسرها هذا المقام وأنت إبراهيم

ولآخر فيه^(٤) : [الوافر]

عجبت لنار قلبي كيف تبقى حرارتها وحبك يحتويه

فيا نيرانه كوني سلاما وبردا إن إبراهيم فيه

(١) المستطرف ص ٢٧٥.

(٢) البيان لابن الرعاد، انظر: الدرر الكامنة ١/٤٩٣، وفيات الأعيان ١/٣٢٩، فوات الوفيات ٣/

٣٥٧.

(٣) المستطرف ٢/٢٥٩.

(٤) الكشكول ١/٩٩.

وفيه أيضاً^(١): [الخفيف]

سماه إبراهيم مالكة ولحسنه وصف يصدقه
أضحى كإبراهيم يسكن في نار القلوب وليس تحرقه
ولبعضهم في اسم علي^(٢): [مجزوء الرجز]

اسم الذي تيمني أوله ناظره
إن فاتني أوله فإن لي آخره
شمس الدين بن الصائغ^(٣) فيمن اسمه علي: [مجزوء الرجز]

قال العذول عندما شاهدني في شغلي
بمن فتنت في السورى فقلت دعني بعلي
ولبعضهم وقد أخذ محبوه واسمه [عليل]^(٤): [مجزوء الرمل]

يا سادة دمع عيني أضحى إليهم رسولي

(١) الكشكول ٩٨/١.

(٢) الكشكول ٩٨/١.

(٣) ابن الصائغ (٦٤٥ - ١٢٤٧/٥٧٢٠ - ١٣٢٠م) هو: محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ: أديب، عالم بالعربية مصري الأصل، دمشقي المولد والوفاء. كان له حانوت بالصاغة. له (المقامة الشهائية) و(شرح ملحمة الأعراب) وقصيدة نحو ألفي بيت في (الصنائع والفنون) و(شرح مقصورة ابن دريد)، و(مختصر كتابي ابن خروف والسيرافي على كتاب سيويه)، و(مختصر صحاح الجوهري) يظن أنه (الراموز في اللغة العربية - ثلاثة)، و(ديوان شعر)، منه الأبيات التي يقول فيها: (والطير يقرأ، والنسيم مررد، والغصن يرقص، والغدير يصفق).

ترجمته في: النجوم الزاهرة ٢٤٨/٩، والدرر الكامنة ٤١٩/٣، وفوات الوفيات ١٨٨/٢، وبغية الوعاة ٣٤، وتاريخ ابن الوردي ٢٧٠/٢ وسماه (محمد بن سباع الصائغ) وقال: كان يقرئ الأدب في دكانه. والبداية والنهاية ٩٨/١٤، الأعلام ٨٧/٦.

(٤) في الأصل علي، والمثبت من الكشكول ١٥٩/١، وهو الذي يقتضيه سياق البيتين.

قلبي لديكم عليل بالله ردوا علي لي
وقال آخر في اسم مقبل^(١): [الكامل]

يا من تحجب عن محب صادق ما زال عنه كل يوم يسأل
من لي بيوم فيه تسمح باللقا ويقال لي هذا حبيبك مقبل
ابن العفيف في مالك^(٢): [الخفيف]

مالك قد أحل قتلي برمح الـ قد منه وراح قلبي ظمينه
ليس يفتي سواه في قتل صب كيف يفتي ومالك بالمدينه
ابن نباتة^(٣) مضمنا فيمن اسمه فرج^(٤): [الوافر]

أقول لقلبي العاني تصبر وإن بعد المساعف والحبيب
عسى الهم الذي أمسيت فيه يكون واره فرج قريب

(١) المستطرف ١/١٠٢.

(٢) ديوانه، ص ٢٠٦، والكشكول ١/١٠٠.

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة (٦٨٦ - ٧٦٨هـ): شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب، أصله من ميفارقين، ومولده ووفاته في القاهرة، وهو من ذرية الخطيب عبدالرحيم بن محمد بن نباتة، سكن الشام سنة ٧١٥ هـ تقريبا، وولي نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود، ورجع إلى القاهرة سنة ٧٦١ هـ فكان بها صاحب سر السلطان الناصر حسن، وله ديوان شعر، وكتب منها: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، وسجع المطوق، ومطلع الفوائد، وسلوك دول الملوك، وغيرها. انظر: الأعلام ٧/٣٨، حسن المحاضرة ١: ٣٢٩ والبداية والنهاية ١٤: ٣٢٢ وابن إياس ١: ٢٢١ والدرر الكامنة ٤: ٢١٦ والنجوم الزاهرة ١١: ٩٥، والوافي ١: ٣١١.

(٤) الكشكول ١/١٠٠.

عز الدين الموصل^(١) فيمن اسمه سعيد^(٢) :

اسم الذي شاقني سعيد ولي شقا حبه يزيد
إذا اجتمعنا يقول ضدي هذا شقي وذا سعيد
برهان الدين القيراطي فيمن لقبه مشمش^(٣) : [مجزوء الكامل]

ومهفهف في خده نار تهيج لي الهوى
قد لقبوه بمشمش لكنسه مر النوى
ولبعضهم في مليح اسمه ياقوت^(٤) : [البسيط]

ياقوت ياقوت قلب المستهام به من المروءة ألا يمنع القوت
سكنت قلبي فلا تخشى تلهبه وكيف يخشى لهيب النار ياقوت
ولبعضهم في مليح اسمه عمر^(٥) : [الخفيف]

ما عليهم في الهوى لو نظروا حتى سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا أخطتوا ما أنت إلا قمر
ولبعضهم في مليح اسمه يوسف^(٦) : [الكامل]

يا من سبى الشعراء نمل عذاره النجم يشهد لي بأبي مدنف
صيرت قلبي من صدودك فاطرا فامنن علي بزورة يا يوسف

(١) علي بن الحسين بن علي : شاعر ، أديب ، من أهل الموصل ، أقام مدة في حلب ، وسكن دمشق ، وتوفي بها سنة ٧٨٩ هـ ، له ديوان شعر ، وبديعية شرحها في كتاب سماه التوصل باليديع إلى التوصل بالشفيع . انظر : الأعلام ٤ / ٢٨٠ ، الدرر الكامنة ٣ : ٤٣ .

(٢) الكشكول ص ١٠١ .

(٣) الكشكول ص ١٠١ .

(٤) وفيات الأعيان ٧ / ٤٣ .

(٥) المستطرف ١ / ١٢٩ .

(٦) المستطرف ١ / ١٣٠ .

وللصفي الحلبي فيمن اسمه داود^(١) : [الوافر]

وثقت بأن قلبي من حديد وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجب إذا داود لان له الحديد
وله فيمن اسمه موسى^(٢) : [الوافر]

أتى موسى بآية خال خد حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض في سواد وآية ذا سواد في بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى كلیم الله في الحقب المواضي
ولبعضهم في مליح اسمه محسن^(٣) : [الرجز]

وأهيف يعلو على عشاقه برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن وكم دموع في الهوى أسالها
صفي الدين الحلبي في اسم حسين^(٤) : [الوافر]

حببي وافر والشوق مني طويل والهوى^(٥) عندي مديد
وأعجب أنني أهوى حسينا وشوقي^(٦) في محبته يزيد
ولبعضهم في اسم حسين أيضا^(٧) :

جعلت جفني واصلا والكري راء فجد بالوصل فالوصل زين
فاسمح ولا تجعل جوابي بلا فالقلب في كرب لا يا حسين

(١) المستطرف ١/ ٢٧٥.

(٢) المستطرف ١/ ٢٧٥.

(٣) المستطرف ١/ ١٠٢.

(٤) ديوانه، ص ٣٠٩، والمستطرف: الموضع السابق.

(٥) في الديوان: «والجوى».

(٦) في الديوان: «ووجدي».

(٧) سلك الدرر ٣/ ٢٠٦، ونسبهما للمصاحب بن عباد.

الصاحب بن عباد فيمن اسمه عباس وهو أُلثغ^(١) : [السريع]
 وشادن قلت له ما اسمك فقال لي بالغنج عباث
 فصرت من لثغته أُلثغا وقلت أين الكاث والطاث
 ابن الوردى في مليح يلعب بالنرد مع مليحة^(٢) : [مجزوء الرجز]
 مهفهفان لعبا بالنرد أنثى وذكر
 قالت أنا قمرته قلت اسكتي فهو قمر
 في مليح معيس^(٣) : [السريع]
 لا تحسبوا من همت في حبه معيس الوجه لقلب قسا
 وإنما رُقِيَتْهُ خمرة فكلما استنشقتها عبا
 ابن الوردى في مليح يصيد الكركي^(٤) :
 ومولع بفخاخ يمدّها وشراك
 قالت لي العين ماذا يصيد قلت كراكي
 ابن العدوي في مغن :
 رب مغنٌ قال لي ردف وعطف مائج
 هذا خفيف داخل وذا ثقيل خارج
 في القهوة^(٥) لماميه الرومي^(٦) : [الهجج]

(١) انظر: معاهد التنصيص ص ٤٠٥، وبيمة الدهر ١/٤٠٧.

(٢) انظر: الكشكول ص ١٩.

(٣) الكشكول ١/١١١.

(٤) البيتان لابن نباتة في الكشكول ١/٢٧.

(٥) انظر: النور السافر ص ١٤٦، الكشكول ١/١١١.

(٦) محمد بن أحمد بن عبد الله، المعروف بماميه الرومي (٩٣٠ - ٩٨٨هـ) : رجال، اشتهر

بموشحات وأزجال كان إليه المنتهى فيها، وله نظم، رومي الأصل، ولد في إستانبول، ونشأ =

أنا المعشوقة السمرا وأجلى في الفنناجين
وعود الهند لي عطر وذكري شاع في الصين
ولبعضهم في مريح له رقيب أحول^(١): [الكامل]

أحوى الجفون له رقيب أحول الشيء في إدراكه شيثان
يا ليته ترك الذي أنا مبصر وهو المخير في المريح الثاني
في مريح على عذاره خال^(٢): [الوافر]

على لام العذار رأيت خالا كنقطة عنبر بالمسك أفرط
فقلت لصاحبي هذا عجيب متى قالوا بأن اللام تنقط
ومما قيل في أسماء النساء في فاطمة:

عجبت من فاتنة لم تنزل لمرتبجي الوصل لها فاطمه
تنكر ما ألقاه من وجدها وهي بشوقي واجوى عالمه
ابن مكانس في اسم عائشة^(٣): [الكامل]

يا دهر خبرني بحقك واشفني فسهام ككري في أمورك طائسه
أجل أني في المحبة ميت وحببتي من بعد موتي عائسه
شمس الدين البديري في اسم حليلة^(٤): [الطويل]

ولما رأنتني في هواها متيما أكابد من حر الغرام أليمه
فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر ومن أين تدري الجور وهي حليمه

= بدمشق، وكان من (الإنكشارية) وعزل، فتولى الترجمة في بعض المحاكم، وأثرى، وتوفي

بدمشق له ديوان شعر، وتخمس البردة. انظر: الأعلام ٧/٦، شذرات الذهب ٨: ٤١٣.

(١) البيتان لأبي القاسم التجيبي البلشي، انظر: الوافي بالوفيات ١/٢٠٩، ونفح الطيب ٢/٢١٢.

(٢) البيتان للحسين بن عقيل، معجم الأدباء ١/٤٢٢.

(٣) انظر: المستطرف ١/٢٧٦.

(٤) المستطرف ١/١٠٣.

ولبعضهم في اسم بركة دويت^(١) :

لما نصب الهوى لقلبي شرکه ناديت وقلبي تارك من تركه
يا قلب أفق ولا تمل للشرکه تغنيك سنين ساعة من برکه

* * *

(١) السابق : نفس الموضع .

خاتمة الباب
وتحفة لذوي الآداب

ومما قيل في تطريز بعض الأسماء، فمن ذلك قولي في اسم إسماعيل أمين^(١) : [الكامل]

(ا) الخد فيه الورد والنسرين
(س) سمحت بك الدنيا وضمن بك الوفا
(م) ما بالنبي أخلصت فيك مودتي
(ا) إن كنت قد أخطأت سبل بني الهوى
(ع) عفتني فازددت فيك تولها
(ي) يجلو فمي أني ذكرتك مرة
(ل) لم يحكني قيس غراما والذي
(ا) أنت الذي يا ظبي قد علمتني
(م) من لي بأن ترضى الرقاد لناظري
(ي) يا حسنه الراقي الكمال محله
(ن) نادي وقل هذا الذي قد صانني
ولؤلفه - رحمه الله تعالى - في اسم أحمد لطيف^(٢) : [مجزوء الرمل]

(ا) أيها الظبي المفدى
(ح) حبذا فيك التصابي
(م) مالكي قد كان مني
منعش القلب الحزين
يا ابن أنس العاشقين
سفه فيك يقين

(١) حلية البشر ٣/٢٢٩.

(٢) حلية البشر ٣/٢٢٩.

(د) داره منك بعفو
 (ل) لا تكن مر التجافي
 (ط) طالما أنفقت شعرا
 (ي) يا ترى أحظى برصل
 (ف) فتدارك نار شوقي
 واصفح الصفح المبين
 متن أشواقى متين
 فيك حيننا بعد حين
 منك أو أبقى رهين
 يا لطيف العالمين

ولبعض في اسم مصطفى رستم: [المديد]

(م) منيتي أبهى من القمر
 (ص) صادني من لحظ ناظره
 (ط) طير أفراحي به غرد
 (ف) فاق غصن البان بالهيف
 (ي) يا رعى الله مودته
 (ر) ربما أجلي بطلعته
 (س) سار بالآداب منه على
 (ت) تنتمي للجد همته
 (م) ما رأيت عيني منه سوى
 هل في داج من الشعر
 بهام للحظ والخور
 كيف قلبي فيه لم يطر
 فاق حسن الطيبي بالخفر
 قد خلت من داعي الكدر
 غيب الأحزان عن فكري
 تربة من معهد الصفر
 وهو حلو الهزل والسمر
 بدر تم حل في النظر

وقال بعضهم مطرزا لاسم أحمد مظهر: [الكامل]

(أ) أشكو إليك تباعدا من شارد
 (ح) حل عن شرودك جملة وارحم حشا
 (م) ما حيلتي في مهدة قد فطرت
 (د) دع ذا التجافي إن تشا يا ذا الرشا
 (م) من لي إذا ما كنت عني راضيا
 هو أنت ذاك الشارد المتباعد
 قلقا لهجرك لا يزال يكابد
 والشوق نام والدموع تطارد
 هذا جميل في الصبابة رائد
 وأراك تقرب والوشاة تباعد

(ظ) ظني بربي أن أرى ما أرتجي ظنا جميلا والكريم يساعد
 (هـ) هلا ترق ولو بوعد مماطل لكن فصّدق الوعد منك مشاهد
 (ر) راع الذي ألف الصباة دهره واسمح بوصلك للذي يتجالد

ولبعضهم في اسم سليم مجردا عن اللقب : [الكامل]

(س) سلّم على ربع الحبيب وقل له إن الجوى في قلب صبك يصدع
 (ل) لم يصح مما نابّه وأصابه بعد الأحبة للقلوب يقطع
 (ي) يبيري سقامي أن أقبل خد من إن واجه البدر المنير يقنع
 (م) ماذا عليه لو وجود بلثمة تحيا بها روحي وصحوي يرجع

وفي هذا القدر كفاية فقد شحن بهذا النوع كثير من الدفاتر، وفنيت منه
 وقيات المحابر، ونسأل الله العناية ودوام التوفيق لنهج سنن الهداية بوجاهة وجه
 نبيه الأعظم وصفيه الأكمل الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *